لعْنَةُ المطْبخ

بيانات الكتاب

اسم الكتاب: لعنة المطبخ.

اسم المؤلف: حسن محمد مدني.

الناشر: دار صبح للطباعة والنشر والتوزيع ـ المركز اللبناني للدعم العلمي والاجتماعي.

التصنيف الأدبي: رواية تنتمي إلى الواقعية النفسية الاجتماعية.

عدد الصفحات: ١٥٨

القياس: ٦٠ * ٩٠ (قطع وسط).

الطبعة: الأولى.

سنة النشر: ٢٠٢٦م.

لِـ:
حسن محمد مَدَنيّ

لعْنَةُ المطْبخ

DAR SOBH
للطباعة و النشر و التوزيع

حسن مدني

الطبعة الأولى - ٢٠٢٦

دار صبح للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
العنوان: الحدث _ تلفون: ٩٦١٥٤٦٦٢٤٩+
فاكس: ٩٦١٥٤٦٦٢٥٩+ موبايل: ٩٦١٣٧١٩٤٤١+

منشورات المركز اللبناني للدعم العلمي والاجتماعي - حسن مدني / لبنان - بيروت
البريد الإلكتروني: Author.and.researcher.hasan.madani@gmail.com
المدونة: https://hasanmadani.blogspot.com
هاتف: ٩٦١٧١٧٣٥١٢٦+

الصف والإخراج الفني وتصميم الغلاف - حسن محمد مدني

الفهرس

الكاتب في سطور



حسن محمد مدني

وُلد في مدينة الهفوف بتاريخ ٥/٥/١٩٨٧م.

حائز على الإجازة الفنية في الفنون الزخرفية (الهندسة الداخلية)، وتخصصات أكاديمية متعددة في: العلوم الاجتماعية، وعلم الاجتماع العائلي، وعلم النفس الاجتماعي، وإدارة الأعمال بتخصصي التنظيم والتسويق...

كاتب وناقد، روائي وباحث اجتماعي، خبير ممارس في مجالاتٍ شتى، أبرزها: التصميم الغرافيكي والإخراج الفني وصناعة الكتب، التصميم الهندسي الداخلي، والإرشاد والتوجيه الأسري...

أعماله المنشورة:

كتاب: **وتستمر العبودية.**

كتاب: **مسرح الواقع المعاش وما وراء الكواليس.**

بحث علمي: **العنف المعنوي الممارس من الزوجة ضد زوجها.**

رواية: **لعنة المطبخ** (هذا العمل).

أعمال قيد الإنجاز:

كتاب: **سوق الدم** (حرب ٢٠٢٤ . ٢٠٢٦).

كتاب: **الصفعة.**

كتاب: **رِدّة مشروعة.**

كتاب: **تضحيات شاقة.**

رواية: **ملاحم خفية.**

"مجموعة قصصية" عمل سردي: **حكايات مدينة الفضيلة.**

هدنةٌ حسمت النزال

أيامٌ معدودات... خرج هذا العمل بضغطة على زِناد القلم، اقتطعتُه من هدوء نسبي فرضته هدنة من حرب ٢٠٢٦م.

هدنة غفلتْ فيها حرب الأعمال داخل صاحبها... كضرائر.

ثم حُسم النزال... بحبر اختلط بدخان كثيف تصاعد بموازاة القلم.

❏▼❏

رجل هلك على طاولة مهيبة موروثة قبل الخضوع لعملية. . . سبقتها سنواتُ نقاهةٍ موهومة مرّت بلمح قرار.

فتكت به نظرات ساخرة خلال جلسات في مواعيدها المقررة.

زوجة تضمد جراحه بخرقة لامعة خيوطها ملوثة.

ضحكات أصدقاء كمشرط يقتطع منه وجوده... قطع يزداد مع كل زيارة.

❏▼❏

موقف شكّل شرارة هذه السردية السريرية، تلاه تشريح لحم الأحداث وصولاً إلى الأعماق؛ إلى صراعية الباطن حيث النفوس المتقرحة، نفوسٌ بحالة حرجة تحتاج إغداق كميات من عقار الكمال.

بكل الأحوال، هي صراعية تعكس الشارع الذي تنظر إليه من نافذتك الآن؛ ترى فوقه "ذاتك" تهيم وتصطدم بأنفسٍ وتساؤلات.

ولا يَبعد أن ترى شخوصنا الذين قرر كلٌّ منهم مصيره دون أن ندري ما شاب اختياره..

سرٌّ محاطٌ بأحجيات، بتأويلات تكاد تبتلعه، لم تُحسم، لا ترضي..

أو ربما ابتلعت المتأولين وانتهى الأمر.

حسن محمد مدني

حي السلم

٢٠٢٦/٥/٥

اقتراح

ضربت **ميريت** على كرش **فهد**، وقالت: يجب أن تتخلص من هذا الجنين.

تعالت الضحكات حول الطاولة.

رفع **فهد** نظره نحو الأشجار الكثيفة التي تحيط بالمكان...

أثارت استغرابه، كيف تكون ساكنة رغم اهتزازها!

بعد ثوانٍ، هبط بنظره ومرره فوق أطباق الطعام، ببؤبؤين اتسعا شهوةً وفرحاً.

لترمقه **ميريت**: هذه الأصناف تسبب السمنة، نزلت لضيوفنا، لا شأن لك بها..

حبس نفسه، فانتفخت رقبته، قال بغضب: ألا تريحينني من نصائح خبراء التغذية.. التي التهمت عقلك.

رجعت بكرسيها إلى الوراء، وجهت جسدها نحوه، وقالت بنبرة فوقية بعد أن اشرأب عنقها:

تعترض على كلام لصالحك!!

أنتم الرجال هكذا، لا تقدرون من ينفعكم.

قال بسخرية: النفع في هذه الأطباق، ردت: بل النفع في إجراء عملية "شق بطْن"، عاجلة..

❑▼❑

ضحك الجميع عدا **فهد**، استدار نحو الأشجار الصامتة..

رأى اشتداد اهتزازها، بلا هبوب رياح.

عابد قطع شروده، نظر إليه وخاطبه بنبرة ملطفة: يا صاحبي، الرجل الذي ليس لديه كرش لا يساوي قرشاً.

ظهرت منه طرف ابتسامة وقال: أصبت، ولكن من يقدر؟!!

رفعت **ميريت** رأسها مستنكرة، وقالت: ما هذا الكلام الرجعي؟ السمنة تفسد الشكل والصحة.

ألا تعلم أن العقل السليم في الجسم السليم..

ضحك بسخرية، وقال مصدوماً: عقل**!** أنتِ زوجة **فهد**، تزوجتِ العقل ذاته، وكأنك لا تدرين أن أجمل النساء يتمنين التقرّب من عقل صاحب هذا الكرش.

راحت تضحك بصوت عالٍ: أي نساء هذه؟

لولا تركة المرحوم التي تدثرت بها، لكنت اليوم تتوسط لحراسة بوابة هذا القصر بجسد يصتك من الصقيع.

احمرّ وجهه: وعلام تزوجتِ الحارس إذاً؟!!

قالت: أشفقت عليه، بعد أن كاد يلفظ أنفاسه الأخيرة، وهو يراودني عن نفسي، حتى بلغها بعد زواج.

انكفأ على كبريائه وأشاح بوجهه، قال بملامح واجمة:

الملاحقة حال جميع الرجال، حالما تعجبهم امرأة.

وبحركات رأس اهتزازية ساخرة، قال: ثم يكون لهم ما يريدون.

سكت بعد نظرة من **ميريت**.

ونظرات فضولية تتلوى حول صمته، تتوق إلى نبش ما وراء سكوته.

مضت ثوانٍ.

❒▼❒

تدخلت **عبير** وقالت: ما رأيكم أن نغيّر الموضوع؟

رد **عابد**: فكرة صائبة... لنخفف اشتعال الجلسة.

قالت **ميريت:** سلوا من يضرم النار كل مرة.

رفع **فهد** رأسه: أنا من أضرم النار؟**!** صمت لحظة.

ثم أضاف بنبرة مخنوقة: لو قلتِ هذا أمام غرباء لمرّ... لكنه

سكت قبل أن تفضحه ملامحه.

... سكت.

قال **عابد**: يا **فهد**، ألا تفكر في عملية لتخفيف الوزن؟ كثير من أصدقائنا أجروها، أيسر من خلع ضرس.

أيدت **ميريت** فورًا: كنت أنصحه من قلبي... لكنه لا يسمع، كأن كلامي يمر عبر أنبوب فارغ.

قال **فهد**: أيًّا كان، هي عملية... وفيها مخاطر.

ولا أفعلها ما دمت لست مريضًا.

قالت **ميريت** بنبرة متوثبة: لكن أنا...

قاطعها محتداً: أنا سيد جسدي وحر به.

ابحثي عن موضوع آخر.

❐▼❐

مدّ يده نحو طبق الحلوى.

صرخت **ميريت**: قلت لك لا تمس شيئًا.

تجمّدت أصابعه في الهواء.

تراجعت، أمسك كوب القهوة بكلتا يديه، وابتلع غصته مع رشفاته السريعة.

ثم صوّب نظراته نحو **عابد** بنظرة صامتة تقطر توعداً.

❐▼❐

بعد ثوانٍ، استأذن من الحضور للذهاب إلى الحمام، قام ومشى بخطوات متسارعة.

رمقوه بنظراتٍ صاحبته لبعض خطوات، ثم تفرغ كلٌّ فيما كان يشغله..

وما إن توارى عن الأنظار حتى لاذ بالمطبخ.

فتح الباب، دخل كالبرق.

وضع إصبعه على فمه كإشارة تحذيرية لسكوتهما، نظرا إليه مرتبكين..

راح يلتهم ما وقعت عليه عيناه التهاماً مسعوراً، بأنياب كبريائه المهدور أمام أنظارهما.

انتهى، ركض نحو الحوض، غسل يديه ونفضهما، خرج من المطبخ كسهم.

عاد إلى الجمع بيدين مبللتين، عمد إلى تجفيفهما بطرف المفرش المهيب بارتباك فاضح.

ثم ضبط جلوسه..

كان هواء الليل هادئاً، هدوءاً تخلله حذر..

الكل ينظر في طعامه، إلى الآخر، وإلى **فهد**..

استغرب حالهم، وقال: ما الأمر؟

حرك بعضهم وجهه: لا شيء.

ثم استأذنوا للمغادرة..

تضاعف استغرابه منهم.

اصطحبهم إلى البوابة، ثم عاد إلى **ميريت**، ليعلم سر انسلاخهم عن الطاولة بهذا الشكل.

قال: ماذا حدث حتى يستأذنوا قبل موعدهم؟

ردت: وما يدريني.. اسألهم.

ثم نفضت ثوبها وجسدها باستعلاء عن الكرسي، وتركته وحيداً مع تساؤلاته.

جلس يتأمل الأشجار في صمت.

لم يسمع أي قهقهة من أحد.

❐▼❐

اقتحمت **ميريت** المطبخ، ففزعا من هجومها المباغت.

نظرت بفوقية، وقالت: لماذا لم يخبرني أحد منكما أن **فهد** قد جاء إلى المطبخ كعادته؟

سكوت.

صرخت بهما: سحقاً لكما، تكلما!

وهما ساكتانِ مضطربان.

اقتربت بسرعة من **ناتاليا**، صفعتها على وجهها؛ دوى صوت الصفعة في أرجاء المطبخ الصامت، تاركاً أثراً أحمر على وجنتها الشاحبة.

وقبل أن تستوعب الألم وضعت **ميريت** يدها ككماشة على ذقنها، وراحت توبخها على سكوتها..

ألم أنبهكِ، أن تبعثي رسالة فور دخوله؟

ناتاليا تتمتم.

لم تفهم كلماتها مع زيادة الشد..

ناتاليا تحرك جسدها لعلها تتملص من قبضة **ميريت**، إلا أن الأخيرة دفعتها للوراء لردعها..

ناتاليا تستفزها بنظرات نفذت إلى عينيها.

قالت: أيتها السافلة ما هذه النظرات إلى أسيادكِ؟

بعد ثوانٍ، هوت بيدها عنها، أعادت التوبيخ، متوعدة بفصل من يخفي عنها تسلل **فهد** إلى المطبخ.

وقبل أن تهم بالانصراف شزرت **ناتاليا**، وقالت: لا مجال للتقليل من أوامري، هذا قصري، وليس قاعة جامعية كنا ننّظر فيها للعدالة ونثرثر بداخلها بمثولات الخير والحق والجمال.

انقبضت ملامح **ناتاليا** وكأن ذكريات الزمالة المسحوقة استيقظت فجأة من عالم المُثل.

انصرفت عنهما، بخطوات باردة وكأنها دخلت لشرب كوب ماء في يوم حار.

وبعد التأكد من أنها دخلت غرفتها، حيث تلصصت **ناتاليا** عليها..

عادت وهي تبكي، حاول أسامة أن يهدئ من روعها..

نظر إلى **ناتاليا** وقال: غريب أمرها، تريد منّا أن نخبرها عن تسلل زوجها إلى المطبخ، ولا يكلفها الأمر سوى تتبعه للإمساك به متلبساً مع طعامه!!

نظرت **ناتاليا** إليه بعينين ثائرتين..

تجمدت يداه المنساقة نحوها لتربت عليها..

أوقفتها نظرات حادة لا تقبل العطف، نظراتٌ زادته عجزاً وإشفاقاً عليها

بين غرفتين

انغمست **ميريت** بغسل جسدها ووضع مساحيق التجميل..

فهد ما زال في الحديقة.

لم يشعر ببرودة الجو، راح يتأمل الأشجار، ما زاد من ملله.

وأثر الضحك ظل عالقاً في الهواء.

وهو قابع عالق فوق مقعده كالمحبوس.

لحين، طرق باله انسحاب الأصحاب.

أمسك هاتفه واتصل بـ **عابد**.

ما جرى لكم؟ انفضضتم فجأة.

جاءه صوت **فهد** ضاحكاً بالقول: لا أظنكم انزعجتم من فظاظة **ميريت**، فقد اعتدتموها، أليس كذلك؟

بادره ضاحكاً، وقال: لا عليك، اعتدناها كما اعتدنا خطايا السياسيين في لبنان.

فقهقه **فهد** ضحكاً بمرارة مبطنة.

تو ادعا.

❐▼❐

في الغرفة الأخرى، دخلت **عبير** بعد استحمام عابر.

رأت **عابد** يضع هاتفه على السرير، سألته عن المتصل، أجاب: إنه **فهد**.

أطلقت تأففاً مسموعاً، وقالت باستهجان: ماذا يريد هذا الفارغ الآن؟

عابد: كان يسأل عن سبب مغادرتنا.. ردت: لنترك لهما مجالاً لممارسة الحماقات الصبيانية.

امرأة لا تطاق.

قال: أصبتِ، متزوجة من فيل بعقل نملة.

تعالت ضحكاتهما.

صفن وهز وجهه: الناس حظوظ، لولا ماله ما كانت ستلتفت إليه.

ضربته بيد الغيرة.

سحب يدها وقبلها، ممازحاً: لا تغضبي، أنا أتحدث عن حظ **فهد** ليس إلا.

أينها منكِ! أين العسل من العلقم.

ضحكت، اقترب منها، بصوت منخفض: كل همي أن يتبعثر السرير الآن.

ما لنا ومال ذينك الأحمقين المحترقين بنار نزقهما المشتعلة.

ردت: ألا تتعب من البعثرة؟

أجاب: ألا يكفيكِ ترتيب بضعِ أيام؟

قالت: لولا سطوة أيام دموية من الشهر، لكنت لا ترتدع.

اجتذبها بسرعة.

❐▼❐

فهد ما زال في الحديقة، رفع نظره نحو الطاولة.

الكراسي فارغة.

ثم نحو الأشجار، لم تتغير، بقي لحظة.

ثم نهض، متوجهاً إلى الغرفة.

صعد بأنفاس متعبة، وجد **ميريت** بأبهى حلة، سُرّ واندفع نحوها.

جلس بقربها يغازلها، رمقته بطرف عينها، قالت: ما تريد؟

فهد، متصنع الغباء الطفولي، قال: أشعر بقلق شديد، أود أن أبقى مستيقظاً حتى مطلع الفجر.

قالت ساخرة: لمَ حتى تدرك الفجر؟

أدارت وجهها نحوه وقالت ساخرة: أبلغ الفجر سلامي..

قال بغيظ طفولي: إذاً علام هذا التأنق والتجمّل..

قالت: أُنفِقُ مللي، أمام المرآة.

جلس على طرف السرير، لا يقترب، ولا يبتعد.

وهي تمسك بهاتفها، شردت فيه.

قال: لا أستطيع النوم.

لم ترد فوراً.

قالت دون أن تنظر إليه:

حاول.

تحرك قليلاً، اقترب خطوة، ثم توقف.

قال: كل شيء هنا لا يساعد على النوم.

ردت: ليس مطلوباً من القصر أن يداري أرقك، ملايين الناس تغرق فوق أسرة داخل غرف متهالكة.

سكت.

وأثناء شرودها، تلاعب شعرها، تحرك شفاهها بشكل مثير.

اغتاظ.

مدّ يده في الفراغ كمن يبتغي لمس سراب من لحم ودم، ثم كبحها وسحبها قبل أن تلامس ثوبها الشفاف.

راح يشتعل في صمته دون أن يجرؤ على الاقتراب منها..

انتظر بعض الوقت، لكن دون جدوى..

فقام بعد أن أمسك هاتفه، غادر الغرفة على عجل..

قالت: إلى أين؟

قال: سوف أنفق مللي بطريقتي.

لأترك لكِ فرصة الاعتكاف في محرابكِ الرقمي الجوال.

خرج.

الهروب إلى الكواليس

هبط **فهد** من غرفته كمن يخون الأرض التي يمشي عليها.

يضع قدمه بحذر فوق المرمر وخيوط الأعاجم، لا يدري مبعث خوفه.

المسافة قصيرة، لكنها بدت له كأنها بين بيروت العربية وأرض كُورُوش.

كأن جدران القصر ترفض خروجه، أو قل إن ثمة قيداً خفياً في نفسه يجتذبه إلى الوراء.

خرج.

❐▼❐

في الملهى الليلي، عاد جسده يعرف الطريق بخطوات منسابة استعراضية.

الإضاءة ساطعة، الكل يضحك في عالم الليل.

إلا أن **فهد** شعر، رغماً عن الصخب، أن الضوء خافت، والوجوه من حوله أكثر خفوتًا وانطفاءً...

لكنهن لاحظنه، فالمال لامع.

اقتربت منه أربع نساء، لم ينتظرهن. . بل كن ينتظرنه.

ابتسامات مجانية، أعين كالميزان، وأجساد تتقدم تعرف زبونها.

ابتسم، دون أن يعي. . لمن يبتسم.

بادرته أكثرهن غناجاً: أين اختفيت؟

قال وهو يرفع كأسه: كنت تحت الإقامة الجبرية.

ضحكنَ، وبنظرات ناعسة: ومن يجرؤ؟

فهد: ... امرأة... همهم بمرارة.. انقلبت على ملكي بحركة زفافية.

تبادلن النظرات، ثم اقتربن أكثر، بوجوه منتشية نحوه.

إحداهنَّ التصقت به، تذكّره بالالتصاق أنه ما زال يتربع على عرش محفظتها. .

مال يدسه في صدرها، جهة القلب.

❒▼❒

بعد وقت، لم يعد يسمع شيئاً واضحاً.

الضحك واحد، ما جرى؟

يرى الوجوه والأجسام ذائبة! كأنها أشباح شبه عارية.

يرى الوجوه والأجسام ذائبة في بريق كأسه! كأنها أشباحٌ شبه عارية تتحرك في مشروبه.

وهو يختار أقربهن... إلى غريزته، تعانقا ثم مشيا يتساندان.

إلى الكواليس، مكان ساتر خافت، حيث صناعة أعظم القرارات.

في الغرفة، لم يقل شيئاً.

دفع الباب، ثم اندفع.

كانت تحاول إبطاءه، لضروراتٍ "مهنية".

أما هو، فكان يخلع ملابسه بضراوة.

كأنه يزيح عن صدره صخوراً ثقيلة، فراحت ترفعها معه بيدٍ مهنيةٍ محترفة.

❐▼❐

حين اقتربت أكثر، اصطدمت ببطنه، حاولت إخفاء ضحكة ساخرة.

دون أن تلاحظ ابتلع ريقه، لم تلحظ احمرارَ وجهه. . لغلبة جذوة الغريزة على كل بدنه.

دفعها ببطنه إلى السرير، يمازحها.

ضحكت، ولم تفهم.

سقطا على السرير، حاولت أن تدفعه عنها بيديها، قالت: يا حسرتي على زوجتك من أفعالك.

أقسم لكِ "بشرفي" لم تأتِ إليَّ، إلا مطروداً من فرط رجولتك؟

تجمدت الدماء في عروقه من نكايتها، وقال بلهجة حاول جعلها متماسكة: أقدر تعاطفكِ معها..

ضحكات عالية كادت تفتر اندفاعه.

لكنه تدارك انكساره بهجوم أشد ضراوة، فكاد أن يحطم السرير من غشامة الثقل.

وراء هندسةٍ منطقية

وقبل مطلع الفجر، دخل **فهد** القصر بخطوات حريصة، كيلا يزعج المرمر وخيوط الأعاجم.

صعد إلى غرفة نومه، فوجد **ميريت** مستلقية على ظهرها، يدها متدلية عن حافة السرير، والهاتف على وشك السقوط.

بدت لوهلة كجثة مضرجة بمساحيق التجميل.

نظر إليها بعيون مضرجة بماء شهواني.

توقف، كمحرك يكاد ينفجر من الضغط على دواسة السرعة والكوابح معاً.

ظل يقاوم ضوء إشارتها الأحمر على مضض، كعجلاتٍ مجنونة تتوق إلى الارتطام والركن فوقها.

حتى جاء صوت شخيرها البارد ليرخي رجله عن دواسة الشهوة.

❐▼❐

اقترب منها، أزاح يدها برفق، تلك اليد التي تحركت ببلادةِ دم بارد، وألقى بجسده المتعب إلى جوارها، كمن يُسقط حملاً.

في الصباح، لم يستيقظ... بل أُوقظ بعينين منزعجتين، بالكاد تستوعب ضوء النهار.

حركة **ميريت** في الغرفة كانت كفيلة لانتزاعه من نوم ثقيل.

جلس، متكئاً على عزيمة ما تزال نصف نائمة، نظر للمرآة.

وإذ **ميريت** تجفف شعرها، تعد قناعاً لوجه سيُعرض في استعراض نهاري، راح يتأملها ساكتاً، وقال: لو كان للتجمّل ووضع المساحيق مردودٌ، لأصبحتِ مليونيرة.

اصطنعت ابتسامة متهكمة...

بادرته: لو كان لكثرة الثرثرة مقابل، لتضاعفت ثروتك.

لم يجب.

ثم نهض وغادر.

❑▼❑

في الحديقة، جلس إلى الطاولة.

لم يطلب شيئاً، راح يتأمل المكان.

إلا أن الأطباق بدأت تصل تباعاً، تحملها **ناتاليا** بخفة تحاكي الفراشة الخجولة.

كأنها لا تخدم... بل تؤدي دوراً في بستان.

دقائق، حضرت **ميريت**، كفراشة في موسم الربيع.

جلست.

تفحّصت الأطباق، و**فهد** يحملق بها، يهز رأسه أعلى وأسفل، بنظرات تبيّت لها.

قالت تخفي سخرية: أليس باكراً لدعوة الأصحاب؟

رد: أي أصحاب في هذا الوقت؟

ميريت مستغربة: إذاً كل هذه الأطباق لمن؟

قال منزعجاً: أيجلس غيرنا على الطاولة؟!

نظرت إلى أسفل صدره: بلى، هناك من يشاركنا الجلسة، صديق عزيز محل انشغالك على الدوام!

نظر إليها وبتهكم: ما شاء الله على انشغالاتك العظيمة! وخفة ظلك.

وضع أصباغ وتخطيط أمام الخزائن لساعات، وتأمل أمام المرآة، كأنكِ تصوغين الخطة الخمسية.

ردت بسرعة: ليس لنفسي، بل ليرى الآخرون حُسن اختيارك.

كاد الطعام يُلفظ من فمه، من ضحكاته، قال: دعيني أرى أولاً، وبعدها اكترثي للآخرين.

ردت بسرعة: بدلاً من نصحي، اهتم بمظهرك.

مظهرك أيضاً للآخرين.

رمقها مؤمئاً بغباء ردها: أتحدثينني عن الآخرين؟ ألا تعلمين من أين أتبضع ثيابي؟!

وما ينسدل على هذا الجسد من رفاهيات، تفوق حصيلة ما تكنزينه... داخل غرفة تئن من شخيرك.

احمرَّ وجهها، وقالت: لو تنطلق الأشياء لسمعت صراخ سريرك منك.

سكتا..

تناولت لقمة صغيرة، وضعت الملعقة، ثم همت للوقوف.

فهد: لن تأكلي؟

أجابته وهي تنهض: لا، كل وحدك.

فهد: خير فعلتِ، دعيني أستمتع بما لي.

وغادرت.

بقي وحده.

نظر إلى الأطباق، تمتم: سبحان مغير الأحوال... ثم سكت.

❒▼❒

نهض، واتجه إلى الحديقة، يدور فيها بلا وجهة محددة، حتى يملّ من خضرتها المقبضة...

فيفرّ إلى مكان آخر يملّه فورَ أن يطأه بأقدام رمادية.

في المطبخ، كان كل شيء في مكانه، فنظام **ميريت** لا يقبل التهاون

أسامة يتحرك بدقة، يراقب، عينيه... لم تكونا في العمل فحسب.

كانتا تذهبانِ متوجستين إلى **ناتاليا**، وهي منغمسة في عملها، بأداء هروبي.

لكنها في أوقات الاستراحة، تمنحه ما يكفي ليظل يهرب نحوها... لا ما يكفي لتستقر بداخله.

جرعات ناقصة يستحيل أن تُمنع عن مدمن عشقها.

كأنها تربطه بخيط مشدودٍ، لا ينقطع... ولا يُربط.

يتأرجح عليه ذلك الطاهي الممشوق، لا تدعه ثابتاً، ولا تسمح له أن يسقط!

لكنه يتراقص مع نغمات شفتيها على أطراف أمل في الإيقاع اليومي، كأن وجوده شرط لاستمرار العرض، الجمهور فيه قلب أسامة فقط.

أما **ميريت**، فمنتج حديث نعمة لا يهمه عائدات شباك العرض الخاسر، بل عائدات أخرى.

لذا، لا تفرّطُ بأحد منهما..

❒▼❒

وكعادته، دخل **فهد** المطبخ.

ليتأكد أن كل شيء ما زال يدور حول فلك معدته.

اقترب من **ناتاليا** لتسلّمه علبة الطعام، كتسلم حافظة ملفات سرية ومهمة؛ قدّمتها له بثبات رسمي صارم، كأنها لا تسلمه مجرد وجبة.

شكرها بإيماءة خفيفة، وغادر.

أسامة يتابع المشهد، بعين نفسه المشتعلة، لم تكن غيرة خالصة... بل شك لم يقبض عليهِ بيد اليقين.

كزئبق سام يضرب جدران روحه... يثير لديه حدساً سيكولوجياً قلَّما يخطئُ؛ لمس فيه خضوعاً متوارياً، وتطلعاً طبقياً غير مشروع.

سمع أصداء جدران نفسه، همسات ساخطة من صاحبته.

فثباتها لا يوحي بثبات امرأة موقرة، بل يثير حدساً قلَّما يخطئُ: خضوع متوار، وتطلع غير مشروع.

لفتاة جامعية، كانت ثابتة هكذا أمام أساتذتها، لكن ليس كمثل هذا الخضوع ولا التطلع.

والآن، أضحى المطبخ يتبعثر بآلاف الشكوك، رغماً عن هندسته المنطقية الداخلية.

عند أطراف الحرم

في الجامعة الوطنية، الطبقات تتلاشى... وإن كانت المقاعد سواسية.

حتى لو اكتظت القاعات بهواء الحياد والمساواة، فوق مدرج لا يزيدُ ميله عن ٤٥ درجة.

فهذا لضرورة هندسية وظيفية لرؤية السيد الأستاذ دون رؤوسٍ تعوق الرؤيةَ.

لكن، ما إن تطوفُ بنظركَ عند البوابة، هناك ترى السيارات الفارهة، يتوجه إليها من يحملون حقائب تتشابه مع بقية الزملاء.

وحتى في كلية الفلسفة.

حيث يُفترض أن ينشغل الطلاب بـ (الجوهر والوجود)، وتأملات المتقشفين العميقة، تجد بعضهم منشغلاً في كواليسه بكيفية إبراز الأعراض المادية البراقة.

طلاب ليسوا بالضرورةِ أن يكونوا أغنياء.

ذلك أن الأغنياء بعد تخرجهم، ينصرفون إلى دراسات الجدوى والربح، دون التفات إلى خلفيتهم الجامعية؛ إذ لا يهمهم

تذكّر رفقاء ذلك الوجود العابر، ولا استعادة جلسات (المشائين) والمنطقيين.

❐▼❐

على المقعد الحجري، عند طرف الساحة التي تلتف حولها الأشجار.

كانت **ميريت** تجلس مع **ناتاليا** وبقية المقربات، كنَّ يمازحنها بـ "الزعيمة".

فتحمرُّ خجلاً من الإطراء.

أربع فتيات، تماسكهن بفعل مغناطيس غيرِ ملحوظ.

ومعهن، بين حين وآخر، كان **أسامة**، بوجود غير منطقيٍّ، يثيرُ تساؤلات.

إذ لم يكن واحداً منهنَّ، لكنه لم يكن خارج الدائرة تماماً، يتخبط داخلَ قُطْرِها.

بين مَنْ تُبعده وأخرى تُقرّبه فوق شعاع الزمالة المقربة.

مرَّت السنةُ الأولى بسلاسة، وفي الثانية... بدأ خشونة التفاعل.

❐▼❐

ميريت تغيّرت، زهدت بالزعامة، كادتِ الرابطة تنفض.

تغيُّب عن المحاضرات، وشرود، تجلس دون أن تقودَ الحديثَ.

وهذا وحده... كان كافياً ليلاحظ من **ناتاليا**..

بعد إحدى المحاضرات، التي لا يُسمح بالغياب عنها، خرجت **ناتاليا** معها قبل التالية.

المحاضرة التي يُسمح فيها بكلِّ شيءٍ.

حيث وضع علامات الحضور، بعد تمرير نظر الأستاذ على ورقة تدونها طالبة تتقن فن المجاملات.

سارتا إلى طرفِ الحرم، حيث يقلّ العابرون، جلستا.

ناتاليا تسأل: ما الذي يحدث معكِ؟

ترددت **ميريت**، أطرقت وجهَها أرضاً تبحث عن كلمات بين الأعشابِ.

قالت: لا أعرف كيف أشرح.

ثم سكتت، جملتها أثارتْ قلق **ناتاليا**.

راحتْ تصرُّ عليها أن تفصحَ عن مصيبتِها.

وهي تحثها على الكلام.

ميريت: الأمور... لم تعدْ كما كانت، هناك ضائقة مالية

تخنق حياتها.

نظرت إليها **ناتاليا** طويلاً بعين الدهشةِ.

فميريت لم تكن تشبه ما أفصحتْ**!**

ناتاليا تتأمل فستان **ميريت،** إلى ما وراء الخيوط..

قالتْ كلمة من حرف وتلعثمت: و. . . ؟

ابتسمتْ **ميريت** ابتسامةً الفاهمة.

ساد صمت قصير، تلاقت النظرات، انسابت يد **ناتاليا** نحو حقيبتِها.

أوقفتها يد **ميريت** عند منتصفِ الطريق، أمسكت بها بأصابعِ الكِبْرِ القاسيةِ:

لا تفعلي. . . وسحبت يدها ببطء كأنها تسحب منها قيمتها.

نظرت إليها **ناتاليا**: ما دهاكِ؟ كنتُ أضبط مكان الحقيبة. . فقطْ.

ميريت: لكنكِ تزحزحين مكانتي.

ابتسمت **ناتاليا**: لا تعظمي الأمور، أرجوكِ.

❒▼❒

مرّت لحظات، قالت **ناتاليا**:

ماذا لو كان هناك عمل؟

نظرتْ إليها **ميريت** مستغربة: أيُّ عمل هذا؟

أجابتها **ناتاليا** على الفورِ:

بسيط... لن يأخذ من وقتِك كثيراً.

سألتها بدهشة: والجامعة؟

ردتْ **ناتاليا**: لن تشعري بأنكِ تعملين أصلاً**!**

ثم ابتسمت: والأجر كافٍ ليُسكت أسئلة كثيرة بشأن غيابكِ وشرودكِ.

ضحكت **ميريت:**

تبدين كأنكِ تبيعين سلعة كمندوب نسبته عالية.

ضحكت **ناتاليا** وقالت: العمل في قصر.

تغيّر وجه **ميريت:**

قصر**!**... وما تلكَ الوظيفة التي يحتاجها القصر؟

ترددت **ناتاليا**:

أتظنين أنَّ القصر مقتصر على مالكيه فحسب؟

ميريت: كيف؟

نظرت إليها مباشرة، ثم قالت: عاملات، عمال،

وسائقون..

فجأة، وقفت **ميريت** كمن قرصتها عقربة الإهانة:

هذا ما ترينه مناسباً لي؟

حاولتْ **ناتاليا** أن تهدئها: إنه عمل.

ميريت: ليس لي، لن أبلغ هذا المستوى، ألا ترين موضعي هنا.. مَنْ يتطلع إلى مجالستي؟

أساتذة يحاولون التقربَ، طلاب يجلدونني بنظرات.. وأنا أشيح عنهم بذيل فستان الرفض.

ارتفعَ صوتها أكثر: تقترحين عليَّ أن أكون عاملةً؟

قاطعتها **ناتاليا** بصوت حاد: أنا أعمل هناك.

سكتت **ميريت.**

أكملت: ولا عيبَ عليَّ؟ أتظنينَ أنَّ أبواب القصور تفتح لأمثالنا بسهولة؟

اقتربت خطوة: لولا دفعة مني... لا تفتح لك بوابة هناك..

علا ذقن **ميريت**: وما ينقصُني عقل أو جمال؟

أخفضت **ناتاليا** رأسها، رفعتْ عينيها ترمقها: هل أصابكِ مسٌّ؟

أيُّ عقل وجمال هذا. . . داخل القصور تنقلب معادلات تقولها أشباه المراهقات. .

هناك، العقول والجمال تحت المال، لا قيمةَ إلا للورق الأخضر المطبوع.

أطالت **ميريت** التحديق. . لم تفهم **ناتاليا** تلك النظرات.

نظرات مختلطة بتحد، غيظ، وطموح. . . أحاطَ ببؤبؤ يداري الانكسارَ.

تبدّل شيء في ملامح **ميريت**، أظهرت طرفاً من كبريائها...

قالت ببطء: وما الذي ينقصني؟

ابتسمت **ناتاليا**: لا شيء... لا حسداً عليكِ، ولكن هناك أشياء لا تُقاس بما تظنين.

ثم أضافت: تعالي، وانظري بنفسكِ.

سكتت **ميريت** لحظةً، ثم قالت: إذاً، رتبي الأمرَ.

نظرتْ إليها **ناتاليا**: متأكدة؟

أريد أن أرى... تجربة ليست بتلكَ الخسارةِ، لديَّ فضول لمعرفةِ كيف يبدو العمل... حين يُلبس ثوبَ القصر.

ردت **ناتاليا** بلهجة مقوِّمة: بل قولي، يُلبس ثوب العاملة داخل القصر.

ميريت سكتت لحظة، استرقت النظر إلى الشمسِ.

ناتاليا: سوف أمهد لذلكَ اليومِ مع السيد **فهد.**

هزت **ميريت** رأسها وقالت: لنرى ما سيكون.

عادتا إلى أحاديث الطالبات.

أول العبور، فستان

في ذات المساء، دخلت **ناتاليا** على **فهد** بالقهوة، تمشي بخطوات موزونة.

وضعتها أمامه، ثم قالت، كمن ينتقي كلماته من بستان التردد.

هناك فتاة... تحتاج عملاً.

بقي نظره واقعاً في الفنجان: نحن لا نحتاج مشكلات جديدة، مع العاملين.

كما لمست، لا أحد يحكم ضميره في عمله.

قالتْ **ناتاليا**: لن تسبب مشكلة، صدقني.

نظرَ إليها، وبتهكم: في البداية، كلهم لا يسببون...

تقدمت خطوةً وبصوتٍ خافت: هذه مختلفة.

سكتَ لحظة، يزن الكلمة بميزان "الهو".

إذاً، أنتِ المسؤولة عنها.

ناتاليا: أنا ضامنة.

لم يتوسع في الأسئلة، قال فقط: غداً أرى.

❐▼❐

في المطبخ، لم تنتظر طويلاً، اتصلت ب**ميريت**: غداً... بعدَ المحاضرات، اللقاء.

ميريت: تمام، بأداء طبيعي.

في الغد، لم يكن دخول **ميريت** إلى الجامعة كالمعتاد.

رأتها **ناتاليا** من بعيد... توقفت مبهوتة، فركتْ عينيها.

ليستْ كبقيةِ الطالباتِ، بل كطالباتِ الفنون المسرحية أثناء "البروفات".

قالتْ **ناتاليا** في نفسها: لقد جنَّت المسكينة، رحماك يا ربّ، رجائي ألا تتسببَ في فصلي من العملِ.

وصلتْ إليها، على الفور سألتها **ناتاليا**: ما جرى لِك؟ أعرف جرأتك، لكنّ لكلِّ شيء حدّاً.

ثم سكتتْ للحظة وقالت: كيف سمحوا لِك بالدخول؟

ابتسمت **ميريت**: يبدو أنهم لم ينتبهوا، مع ضحكة عالية: أو ربما انتبهوا!

أمسكتها من ذراعها، وسحبتها: اسمعي، أنا لِك ضامنة.. أساليبِك هذه تنفعكِ مع سائق، بائع، حارس، أما **فهد**، فيعرفُ من

أين تُؤكل كتف النساء..

ميريت ضاحكة: مصيبة، إذا كان يكتفي بالكتف.

شزرتها **ناتاليا**، شدت ملامحها، قالت: دعينا من نزقِ الصبيان..

ميريت هزت رأسها بجدية، ثم استدارت بخطوات للذهاب إلى المحاضرةِ.

تبعتها **ناتاليا**، تحاول مسايرةَ سرعتِها.

انتهى اليوم الدراسي، وكادت أن تنتهي سمعةُ **ميريت**، التي كانت على المحّك أصلاً.

❒▼❒

خرجنا.

الطريق إلى القصر لم يكن طويلاً...

لكنه بدا كذلك ل**ميريت**.

عند البوابة، توقفت **ميريت**.

راحت تنظر مطولاً، انعكس بريق الحديد اللامع داخل عينيها.

في حالة أشبه بتلاق روحي.

مما ساءَ **ناتاليا** فقالت: لا تنظري كثيراً، ستظلُّ موجودة لن تطيرَ.

سوف تملّين منها، ثم دخلتا.

❐▼❐

في الداخلِ.

كان كلُّ شيء واسعاً، أكبر ممَّنْ يراه بنظارة مُعَظِّمَة، رغم شساعةِ المكان.

صامتاً أكثرَ مما ينبغي.

حتى وصلتا إليه.

وقفَ **فهد**.. يرحب، يحاول مواربة شدَّة انتباهه.

نظر إليها طويلاً.

نظرة تخفي... لكنها تتمتم.

ثم مدَّ يده.

حين صافحته، شعرت **ميريت** أنَّ المصافحة لم تكن مجرد تعارف.

سألها: متى تستطيعين البدء؟

أجابت بحماسة: الآن.

ابتسم، إجابة لم تكن مفاجئة... إذ فضحتها رغبة في العينين.

نظر إلى **ناتاليا**: اعتني بها.

هزّت رأسها.

❒▼❒

تلاشتا عن الأنظار، وظلت صاحبة الفستان رابضة في خيال **فهد**.

قادتها إلى غرفةِ الملابسِ.

فتحتِ الباب، في الداخل.. لم يكنْ هناك شيءٌ فخم... فلا فخامة في غرف "الخدم".

فقط ديكور صارم، رتابة باردة؛ مكان هُندِسَ بدقة ليناسب مستوى مرتاديه.

ناولتها الزيَّ.

أخذته **ميريت**، بوضعية حمل الجنينِ، نظرت إليهِ بحنوٍّ.

للحظة، أظهرت أنه لا يعنيها... ثم... أمسكته بإحكام.

حين ارتدته، لم تعد كما عبرتِ البوابة.

غير أنها لم تفقد أناقتها بشكل كامل.

ترددات الكأس المكسور

بعد أن ارتدتا الزيَّ، اتجهتا إلى المطبخ الرحيب.

كان الطاهي يوليهما ظهره، منغمسًا في حركات شبهِ بهلوانية لا تعرف الانضباط.

توقفتْ **ناتاليا** لحظة، كأنها تهيئها لفقرة الساحر، ثم قالت بنبرة تشويقية تواري ما لا يقال: استدرْ... لِنرَ المفاجأة.

استدار.

وفي لحظة، كأنَّ الزمن طُوِيَ فيها أكثر من سنة - بُهتا معًا.

كلٌّ منهما نطق اسمَ الآخر، الصوت خرجَ بدهشة، مشوباً ببحّة أقرب إلى الفزع.

ضحكت **ناتاليا**.

ضحكة ما اعتادتها شفاه الذات. . . كأنها تحاول الكشف عن أنياب النفس.

قالت **ميريت**: ما الذي ألقى بكَ هنا؟

ابتسم، وقال بثقة فيها مسحة استعراض: أنا المايسترو هنا،

أعزف أشهى الألحان، تطرب لها بطن صاحب هذا القصر.

ثم نظر إلى **ناتاليا** بنبرة متسائلة: غريب كيف وافق **فهد** على انضمامها إلينا؟

نظرت **ميريت** إلى **ناتاليا**، بحثًا عن توضيح.

لكنّ **ناتاليا** سبقتها، وقالت بنبرةٍ ناعمة تخفي طرفاً خشناً من الاتهام: بعض الناس لا يحتاج تدقيقاً... فستان سهرة واحد قد يختصر متطلبات أيِّ عمل.

أسامة ضاحكاً: يا حسرتي على نفسي، بلغت هذه الوظيفة بشقّ الأنفس وفرادةِ الموهبة، وأنا مَنْ أنا في هذا المضمار.

ثم نظر إلى **ميريت** وأشار إلى **ناتاليا**: وهذه دخلتِ القصر بعد أن رسمت عشرات الحيل على ألذِّ الأطباق.

❐▼❐

أما **ميريت** فلم تواجهه أيضًا، إلا بضحكة خفيفة، طفولية تخلو من براءة كاملة، وقالت:

هوِّنْ على نفسِك يا عزيزي... إنني هنا لأجل العمل فقطْ، لفترةٍ عابرة.

كان في "عابرة" ما يكفي ليفهم أنَّ في رأسِها ألف "موالٍ".

ابتسمت **ناتاليا**، ابتسامة فيها طرف القبول، قبول يتأرجح بين شفتيها.

ثم قالت: لنبدأِ التدريب.

أطاعتها **ميريت** بسرعة غيرِ معهودة، كطفلة تخشى أن تُسحب منها لعبة قبل أن تلمسَها.

ومع كلِّ حركة، كانتْ **ناتاليا** ترصد ما تفعله **ميريت**... وكيف تفعله.

سرعة الاستيعابِ حاضرة.

مرونة العقل والجسد أزعجتها، فخانتها ملامحها.

احمرَّ وجه **ناتاليا**، سقطَ الكأس من يدِها.

صوت الارتطام كان عادياً... لكنَّ صداه فيه ترددات غيرةٍ مفضوحةٍ.

رفعت **ميريت** نظرها إليها، رأت ما يكفي في ملامح **ناتاليا**.

قالت في نفسها: يا للغيرة وأفعالها!

ثم أصلحت ما أفسدت في نفسِ صاحبتها، تزامناً مع إصلاح ما أُفْسِدَ فوق أرضِ المطبخ.

رددت في نفسها: أصلحِك الله يا **ميريت**، لا تكوني سببًا في إشعال الحريق هكذا.

فهدأّت من حركتها، وخففت حضورها.

كأنها تتراجع خطوة، لتخفف لهيب الغيرة.

اقتربت منها، وقالت بنبرة فيها اهتمام مقصود: لا عليكِ... يبدو أننا ننهمكُ أكثر من اللازم.

ثم أتبعت قولها بابتسامة: ما هذا الإتقان؟! هل نستعد لرحلة إلى الفضاء؟ إنه تدبير منزلي... مهما عظمَ، يبقى منزلياً.

هزّت **ناتاليا** رأسها، وقالت: صحيح.. لكنّ للقصور آدابَها.

ردّت **ميريت** بسرعة، حتى لا تترك الجملة جافة: لا بأس... نحن في كلية الآداب أصلًا، وكلُّنا أدب.

ضحكت **ناتاليا**.

ضحكة أقرب إلى ضحكات المدرجات والمقاعد الحجرية.

سرقتْ المشهد

حان وقت الاختبار، لم تكتف **ناتاليا** بالنظر. . . بل تترصَّد.

عيناها تتابع كل حركة تصدر عن **ميريت**، كأنَّ نفسَها مسطرة تقيس خطراً يتشكل شيئاً فشيئاً.

عند السابعة تقريبًا، بدأ الضيوف بالتوافد.

وجوه مألوفة، تتماشى مع طقوس المكان، كأنهم اكتمال لديكوره.

هم صفوة موظفي **فهد** أو هكذا يُفترض أن يُقال عنهم.

في الحديقة، كانت الطاولة تنتظرهم بهيبتِها، وبإكساء فاخر يهشُّ ويبشُّ للزائرين.

جلس **فهد** في صدرها، بابتسامة متقنة... توحي بالوقوف أكثر ممّا توحي بالجلوس.

تحلَّقوا حوله، تبادلوا التحايا، ثم هبطوا إلى مستواه، جلوساً حدده **فهد**.

كأن كلَّ شيء يسير وفق تقليد قديم لا يسمح بالتمرّد عليه.

❐▼❐

في المطبخ، سألت **ميريت** عنهم.

أجابتها **ناتاليا** باقتضاب: إنهم ضيوف دائمون.

هزّت **ميريت** رأسها، لكنَّ عينيها لم تنفكا عن **فهد**.

ثم بدأت بنقل الأطباق.

افترشت الطاولة بالأشكال والألوان، كعرض معدٍّ للإبهار الطبقي على موائد باذخة، قليل مَنْ يشبع عليها

ثم بدأتِ الحركة.

بخِفَّة وانسياب يكاد يكون هلاميّاً، هكذا تحركت **ميريت** بين الحاضرين.

هي لم تكن تمارس عملها... كان استعراضاً مسرحيّاً بأداء مغلف بأدب القرود.

نظراتهم تتبع كلَّ مناطقها الفنية.

لم تكن بريئة تمامًا، ولا عفويةً كما أبدوا.

كان الأقرب إلى تشخيص دقيق... ما بين التهذيب والتصنّع، كابتسامة تدرَب أمام المرآة، داخل غرفاً في كواليس "الأنا".

النتيجة، لقد سرقت المشهد كليّاً.

بعد أن أنهت، اقتربت من **فهد**، وسألته إن كان ثمة ما يُطلب بعد.

أومأ لها بالانصراف، بإشارة عابرة، كمن ملَّ من العرض.

وما إن تلاشت، حتى مالَ **عابد** نحوه، يهمس بابتسامة لا تخفي غمزة عين بالكاد تُلحظ: العاملة الجديدة؟

رمقه **فهد** بنظرة ثاقبة، ثم أجاب: كغيرها... تبحث عن عمل، ما زالت تحت الاختبار.

ثم أضاف، بنبرة تحمل طرفاً من الترفع: أتظنني ألتفت لمثل هذه؟ ونصف نساء بلدك يتمنين التقرب مني.

ابتسم **عابد**، ابتسامة ما بين الفهم والتغابي، قالَ: نسأل الله لها التوفيق.

دفع **فهد** الطبق نحوه، وقال بفتور: اهتم بطعامك... فهو أنفع لك من كلامك، انشغل **عابد** بالأكل، بملعقة المراوغة.

في الداخل، لم يكنِ المطبخ أقلّ تحاوراً، فبعد غياب **ميريت** في الطابق العلوي فتح في المطبخ نقاش آخر.

باب لا يُرى من الحديقة، ولا يشعر مَنْ بالأعلى بغضب **أسامة**.

الذي قال بحدّة: مَنْ سمح بتوظيفها دون الرجوع إليَّ؟

ردت **ناتاليا** ببرود مستفز: منذ متى صرت مسؤول التوظيف؟

ثم أتبعت، بنظرة حارة لا تفشل في الإقناع: الفتاة تمرّ بظروف صعبة... أردت مساعدتها لتكمل دراستها.

بادرها بنظرة غير مقتنعة، قال: ومِنْ أين لها أن تتقن هذا العمل؟

ابتسمت ابتسامة عابرة، وقالت: أيُّ عمل هذا؟ تدبير منزلي...

أليس هذا مما تتقنه النساءُ بالفطرة؟

ثم اقتربت منه قليلًا، وخفضت صوتها: لكن لا تقلق...

فهذا ليس من فطرتك.

فقط، احذر أن تهتزَّ مكانتك، وهذا لن يكون.

اشتعل منها: لا أرى فيكما إلا كيداً أصيلاً.

ضحكت. . بسخرية مازحة... ومع استعلاء ناعم: سامحْه يا الله. . . لا يدري ما يقول.

استدار، ولم يرد.

صمت وفي داخله، كان الكلام يتكاثر: ليتني لم آتِ بها...

أيُّ حماقة هذه؟ وأيُّ صداع تأتّى منها؟

أنا مَنْ أردتها قريبة... فقرّبت نحوي كلاماً شبه عار.

صدع من جسد لا يحق لي لمسه، إلا في غرفة الخيالات.

ابتسم بمرارة خفية: أيُّ مهزلة هذه...

❐▼❐

بعد وقت عادت **ميريت.**

بمجرد دخولها، التقطت شيئاً في الجوِّ، إنه أثر الكلام.

سألت عن الأثر... فجاءها الجواب كنسيم مراوغ.

فهمت... أو ربما اختارت أن تؤجل الفهم ثم عادت إلى العمل في هدوء.

كلٌّ منهم يعمل... لكن عينه على الآخرِ.

وفي لحظة عابرة، مرَّ في ذهن **ميريت** مشهد الطاولة.

الوجوه... والعيون، توقفت عند **عابد،** نظرته كانت كافية.

نظرة لا تلامس... لكنها تنهش، كأنها تنتظر لحظة انحناءة.

حينها فقط، أدركت:

أنَّ ما يقدم على الطاولة... ليس هو كلَّ ما يُلتهم.

خطوة داخل غرف

تفرقوا، وما بدا انصرافاً عادياً كان في حقيقته بداية تفرعات تتباعد.

دخلت **ميريت** غرفتها وكأنها تهرب من شيء يلاحقها، ألقت بنفسها على السرير دفعة واحدة كمن يثق في الفراش بشكل مطلق، دون أن يخطر ببال جسدها أي سقوط مؤجل.

غمرها الفراش بقماش الأمان، ذلك الأمان المفاجئ الذي يأتي بعد يوم طويل، ومعه شعور بأن كل شيء تحت السيطرة.

رفعت عينيها إلى السقف فاستقرت على مصباح لونه دافئ، وعلى وهجه مر طيف **فهد**؛ يده، وصوته، وإصراره حين قدم لها السلفة.

في البداية رفضت، محاولة للاحتفاظ بشيء من أصول العمل، فقالت: ما زلت تحت التجربة.

لكنه ألح، ثم دَس المال في يدها.

الضغطة التي رافقت ذلك لم تكن عابرة كما أراد لها أن تبدو.

اشتعل وجهها لحظتها وبدا كأنه خجل، أخفت المال بسرعة ونظرت حولها، فلا أحد يجب أن يرى ما يحمل هذا الترقي.

❑▼❑

لاحقاً، وهي تنقل الأطباق، كانت حركتها شبه آلية.

وحين وجدت نفسها وحدها أخرجت المال، عدته بأنامل ذات عزم، اقتطعت ربعه ومضت إلى أمها حتى بلغتها وناولتها المال.

تأملت الأم الورقات بدهشة صريحة: من أين لك هذا؟

قالت بهدوء: سلفة من العمل ستخصم من الراتب.

رفعت الأم نظرها بشيء من الريبة: أي عمل يعطي سلفة بهذه السرعة؟

جلست **ميريت** بجانبها وأطلقت زفرة طويلة: لا تستغربي، هناك من يملكون الكثير من هذه الأوراق يبددونها بلا حساب.

نظرت إليها الأم وقالت ببطء أثقل بكثير من الكلمات: لا أحد يبذل بلا حساب إلا الحمقى.

ابتسمت **ميريت** ابتسامة فيها شيء من السخرية: الحمق عابر للطبقية، لم تتابع الأم عما سألت، نظرت إلى المال وراحت تعده.

❑▼❑

وبعد إطالة التحديق في المصباح الدافئ جلست على السرير، أمسكت الورقات الخضراء تقلبها بين أناملها وتأملت الوجوه المطبوعة عليها، فاستقرت وتوقفت عند أحدها.

ابتسمت بسخرية خافتة: ما أكثر الشبه!

وهمست: لا تكتمل من إنسان.

❐▼❐

في مكان آخر، كانت **ناتاليا** تقف عند نافذتها، الظلام في الخارج أوضح لها من مصباح الداخل.

أنهت مكالمتها مع **أسامة** التي انتهت باقتراح: إزاحة **ميريت**.

رفضت، وقالت له: أي حركة ضدها ستكشفنا.

راح يصر، وقال: نصنع السبب. ضحكت، وكأنها آخر ضحكاتها: ليست هذه أوقاتي لمجاراة حماقاتك، لو رأيت كيف ينظر إليها **فهد**، لفهمت أن المساس بها الآن تهور.

صمت لحظة ثم عاد يلومها: أنت من أدخلها.

ردت: أردت مساعدتها ليس إلا.

تردد ثم قال: **ميريت** ليست كما تبدو.

انتبهت لقوله، وقد أيقظ ذلك فضولها: ماذا تقصد؟

أجاب: هي أخطر مما تظنين.

سخرت منه: الآن صارت خطيرة؟

وهي التي اختصرت علينا الدراسة بما استشفت نظراتها من أسئلة امتحانات مرتقبة؟

يسرت علينا العبور من قاعات الامتحانات.

قالت بنبرة مستغربة: ثم ما الذي تخشاه؟

مكانك ثابت وأنت تعرف ذلك.

قال بحرارة: ربما لا يبقى.

سكتت، لم تجد جواباً سريعاً، ثم تنهدت: دع الأمور تسير لنرى ما سيكون.

أغلقت الحديث وبقي خط الارتياب مفتوحاً.

❒▼❒

فراغ يتعدى معايير الهندسة الداخلية.

عيناه تلتصق بالسقف، لكن ذهنه في أمكنة أخرى، فما تزال تلتصق **بميريت**.

صورتها لم تغادره لحظة.

همس لنفسه: مختلفة، مختلفة.

ثم بعد لحظة: يجب أن أظفر بها.

اجتاحته فكرة منغصة: ماذا لو رفضت؟

ماذا لو لم تكن متاحة أصلاً؟

شد على الوسادة كأنه يرجو منها جواباً: لا، لو كانت كذلك لما كانت هنا، لما كانت تتعمد إغاظة غرائزي.

هدأ قليلاً، ثم طرقت فكرة تطمئنه: كل شيء ممكن، بعدما تذكر كيف قبضت على السلفة.

ثم طرقت فكرة تطمئنه: كلُّ شيء ممكن... بعدما تذكر كيف قبضت على السُّلفَة.

❐▼❐

في بيت **عابد** لم يكن الأمر بأفضل حال: دخل مع **عبير**، همس لها بأن الليل سيكون طويلاً.

نظرت إليه باستفهام، ثم تركته وانشغلت عنه.

أما هو، فكان يحاول أن يضبط إيقاعه حتى لا تنزلق تلك التي تتراقص في ذهنه.

حين التقيا لاحقاً، بدا اندفاعه زائداً.

وضعت **عبير** راحتيها على كتفيه، ونظرت إليه بقلق: ما بك؟

تجنب الإجابة المباشرة، لكن في لحظة خاطفة، كاد اسم آخر ينزلق من لسانه.

اسم نطق كثيراً هذه الليلة.

ليلة حركت الكل خطوة، على نحو يناسب سير كل منهم.

رسوٌّ بعد تحطّم

ساد اضطراب غير معلن في المطبخ، لَمْ يُرَ بعين الملاحظة إنما سُمع بأذن الحدس؛ طرطقة الأطباق، احتكاك السكاكين، إيقاع عال أكثر من ذي قبل... كأن أشياء تقع وتنكسر دون أن تلتفت إليها الأنظار.

الروتين هو هو، لكن دخول عنصر مريب إلى القصر جعل كل حركة ليست هي هي، وكأنما تتجاوز وظيفة العمل.

كان **أسامة** واقفاً عند الموقد، يحرّك اللبن بحذر، حركة دائرية لا تنقطع، كي لَا يتفكّك أكثر! انشغال مبالغ فيه، واللبن ذريعة مناسبة.

وعلى الطاولة، كانت **ميريت** ترتّب أدوات التحضير بإيقاع متخبط؛ تسارع، ثم تبطؤ فجأة... وفي لحظات السكون، كانت تتوقف.

ترفع رأسها نحوه، تحدّق نحو **أسامة**.

ثم تعود إلى ما بيدها بسرعة مبالغ فيها، مثلما تلحق بشيء سقط.

في تلك اللحظة الخاطفة، كانت الكلمات تخرج منها، أسئلة ترتطم على ظهره.

لم يرفع **أسامة** عينيه، وظل يحرّك اللبن بسرعة، يشغل نفسه عما يربت ويضرب عليه.

يحرك بصوت يتقصد كتمه، كأنه يجيب؛ صوت أعاد إليها مشهداً قديماً.

حيث ممرات الجامعة، استراحة بين المحاضرات، و**ناتاليا** تنسحب كعادتها لشراء شيء سريع، ليبقيا وحدهما.

كانت **ميريت** تسير في حديثها بخطوات متعمّدة، تقترب دون أن تقترب.

وكان **أسامة** قدامها... لكن باله فارقه وراء من خطت نحو باب الكافتيريا.

سألته **ميريت،** بشكل مباشر: ما رأيك بي؟

بعينين جديدتين عليه، مسحة أمان سبقت الكلمات، كأنها تملي له الإجابة وتطلب منه أن ينطقها.

لم يفعل؛ فأجوبته رمادية، بين بين، انقلب الأمان حيرة، لفتاة لا تهوى الرماديات ولا تقبل أي صد.

بقي في عينيها طرف أمان أبيض، لم يظهر غيظ النفس.

ثم عادت **ناتاليا** إلى الثنائي بوقفتهما الزمالاتية البحتة**!**

توالت المشاهد بعدها، لقطات عابرة، صامتة؛ مشاهد من فيلم صامت، بحركات تطمس أي تفسير.

❐▼❐

وخلال أمسيات **ميريت** في غرفتها، تحت ضوء مصباح دافئ، كانت تعيد تحليل الحكاية.

تفككها بالورقة والقلم، تخلق جدول مقارنة مع صاحبتها، ثم تعيد التحليل.

تسأل: أين الخلل فيّ؟ فكل المسألة صفات بصفات.

تدقق، فهل هناك تفاصيل دقيقة لم ترَها بين طيات الجدول؟ واحدة لها، وأخرى لـ **ناتاليا**.

ثم تتأمل الخانات بهدوء، تنتهي، ثم تنظر: أنا الأفضل دائماً.

ثم تطوي الورقة.

ثم تعود إليها في الليلة التالية؛ تدقق، تحلل، تفسر، والنتيجة هي هي، لكنها تغتاظ من مصاديق الجدول المعاكسة.

❐▼❐

نزلت **ناتاليا** من الطابق العلوي بعد أن أنهت التنظيف.

استغرقها وقت أطول في غرفة **فهد**، كعادتها؛ كانت تهتم بكل شيء فيها إذ توليه عناية زائدة، كأنها في اختبار توظيف كل مرة.

هذا لطالما كان يرضي **فهد**؛ يثني على عملها، يبتسم.

هذه المرة، وقفت أمامه، تردّ بابتسامة أطول: ليس هذا العمل وحده... فأنا جديرة بكل ما يوكل إلي.

صاحبت كلامها نظرة ناعسة جعلته يشعر بشيء، لكنه ضحك: ما بالك؟ يبدو أنني سأكفّ عن مدحك.

ضحكت؛ ضحكة سريعة، فيها إغراء خاطف، لتستدير عنه.

❐▼❐

تراودها خيالاتها في غرفة النوم، وهي تتلمس ملاءة السرير بأنامل تذوب، أو تضم الوسادة متظاهرة بتنظيفها، حينها، تذهب إلى عوالم حمراء.

ومشية أشعلت **فهد**، اندفع نحوها يوقفها.

لمس منطقة اختصرت أي مقدمات، لمسة تختصر كل محاورات الغريزة.

أسرعت تتصنع الامتناع، وهذه الحركات تستفز **فهد**؛ أمسك بكل جسدها، رماها فوق السرير، وفوقها ألقى بنفسه كمن رُمِيَ

بفواشة يسرع في إدراكها.

وعلى السرير **ناتاليا** بالكاد تلتقط أنفاسها، حيث تلاطم أعضاء **فهد،** كباخرة تسحق يختاً بحالة أقل من جيد

يختاً ظل محافظاً على كسوته الحمراء رغم احتكاك كاد يحطمه

أثر نفاذ وقود **فهد،** حيث لم يحسب حساب هذا الإبحار المفاجئ.

ما سمح لها أن تسحب نفسها عنه بصعوبة حيث ترهل الجسد المرخي فوقها.

بعد ثواني، نفض نفسه من على السرير إلى "الكومود" وابتلع من علبة حبتين الوقود.

❐▼❐

بعد وقت، ترسو إلى شاطئها الرمادي حيث المطبخ..

وما أن هلّت، رأت **ميريت** منهمكة وأسامة منشغل بقدره..

كان الإرهاق ظاهراً عليها، سألتها **ميريت** عن حالها؟

قالت: لا شيء، إنه أثر العمل في غرف النوم، وخاصة غرفة **فهد؛** تضم أثاثاً يحتاج لدقة في تنظيفه..

ضحكت **ميريت** وقالت: معك حق، خاصة السرير الضخم

المصمم لاحتواء كرش صاحبه..

حاولت **ناتاليا** مواربة جوابها: وهل يعيب الرجل شكله؟

سخرت **ميريت** منها: يا حسرتي عليك**!** ألا تعلمين أن الشكل يعكس جوهر صاحبه..

أجابتها على الفور: ليس دائماً، فهناك رجال لم يطأوا أول درجة في سلم الوسامة، لكنهم يقفون على أعلى درجة في الاحتواء وتحمل المسؤولية. . وهناك من هم في قمة الوسامة، ولا يطأون أول درجة في الرجولة.

ضحكت **ميريت** وقالت: دليني عليهم... أرجوك.

شردت، وقالت: ما أكثرهم في مجتمعنا**!**

ميريت لم ترد؛ انحنت ترتب ما أمامها، كأنها تحدث أشياء.

فضّ الخط الأحمر

راحت **ناتاليا** تسترق النظر إلى **ميريت،** تحدث نفسها بصمت كادت أن تفلت منها صرخات: يا لِكِ من متكبرة... تجرحين **فهد** كلما سنحت لِكِ الفرصة، ومع ذلك تتمسحين له حين يقترب.

أيّ مسافة هذه التي تصنعينها؟ قريبة... وبعيدة في آن، قطة تتطلع إلى تربيت، بجسد أفعى تتلوى عند همّ الأنامل**!**

ما تضمرين أيتها اللعينة؟

رنّ جرس المطبخ، فبهتت أفكارها.

الصوت: أين **ناتاليا؟**

أسرعت نحو الهاتف الداخلي، جاءها الأمر: تعالي إلى غرفتي.

ردت: على الفور.

فرنّ جرس آخر في رأس **ميريت.**

❐▼❐

استقبلها هذه المرة باحتفاء؛ هشّ وبشّ لها، وبابتسامة واسعة أشار إلى المقعد قرب السرير:

اجلسي... أريد رأيك في أمر هام.

جلست بانسيابية لم تفاجئ المقعد.

اقترب منها قليلاً، وبدأ يسألها عن دراستها، حياتها... أسئلة هادئة.

كانت تجيب... ثم تشرد ممسكة بدرابزين باخرة خلال غروب، وهو يسرح إلى حيث يتراءى له حتى وصل.

قال: **ميريت.**

تبدلت نظراتها، كمن اصطدم بجبل جليدي، عدّلت وضعية جلوسها فأصبحت إجابتها ضبابية.

نظر إليها طويلاً: أجيبي كما ينبغي.

رفعت عينيها إليه: قل ما الذي تريده منها... بصراحة.

قال، وكأنه يضع حمولته كلها في الكلمات: تعجبني.

سكتت لحظة: وبعد؟

قال: أريد أن أقترب منها.

أطلقت زفيراً بحمم متتابعة، أدركت ما يشتعل بداخله:

ليست سهلة... هي ليست كما تبدو، تتلاعب بأساطين كبار، يخفقون في إخفاء التطلع إليها، وهم من هم فوق تخوم الفلسفة.

ابتسم بسخرية ماكرة: وأنا لست قليلاً في هذه الحياة، أضع قدمي في أعلى قمم المال.

قالت، بنبرة جدية: هناك ما لا يُمتلك حتى لو اشتريته...

تغير وجهه قليلاً: ليس الأمر كما تظنين.

ثم اقترب أكثر، وقال بصوت منخفض: أريدك أن تساعديني.

أشارت عينه إلى السرير؛ فتجمدت، وخفضت رأسها لثوانٍ، تنظر إلى نفسها قبل قليل.

رفع وجهها بيده: ما بك؟

قالت بصوت خافت: لو أعفيتني...

أصرّ.

رفعت عينيها، وكأنها تطلب الأمان: لن تبوح بما سأقول؟

أومأ.

قالت: هي... لا تراك كما تظن.

صمت.

أكملت: تسخر منك... من شكلك.

احمرّ وجهه، وتيبست ملامحه؛ كلماتها سقطت في مكان في النفس كان يتعمد هجره.

❐▼❐

على وقع السقوط المؤلم، ظل متيبساً، لم يصرخ، لكن ما خرج منه كان مدوياً؛ كلمات تصدع بالغرور المجروح.

اقتربت منه دون وعي، كأنها تحاول التخفيف من وحشة مكان مسكون بأشباح عقد النقص.

وضعت رأسها قربه، تهمس بشفاه تحولتا إلى حقنة تخدير... لا تلقِ لها بالاً، فالأمر مجرّد إثارة عابرة، أي واحدة تعوّض مكانها على هذا السرير.

قال بنبرة متقطعة: لا أريدها فقط على السرير، بل في كل القصر.

تصاعدت أنفاسها الحارة، ألجمت استطراده، فطال العناق أكثر مما ينبغي؛ تحول من محاولة تنويم... إلى تداخل الأنفاس الحارة، وكلمات ملتهبة تأجج نار رجولته.

أغرقته بمديح وإطراء مسروق من روايات وأفلام، إلى أن أعاد الكرة، في اعتصارها لعلها تخرج كل كلماتها المواتية...

لكنها أخرجت تأوهات ردّتها الجدران إليها، تصطدم بجسدها فتوجعها.

يتضاعف الألم والنشوة، دون أن تدري من أين مبعث اللذة؛ من الاحتواء الثقيل، وابتلاع الفراش للجسد الغارق، أو من نشوة الفوز بنجاح التخدير، دون أن تشعر بالوقت، ولا بتلك اللحظة التي تشكل هاجس أي فتاة؛ لحظة تذوب فيها الحدود، تتجاوز كل الخطوط، إلى الخط الأحمر، الذي انفضَّ.

حينها، لا تراجع إلى خطوط التلامس البيضاء.

بعدها... جلست **ناتاليا** على حافة السرير، بعد نفاد وقوده، مطرقة الرأس، تبحث في خشب الأرض اللامع عن لون غريب.

كان يمسح تساؤلات دموعها، أجاب: لا تقلقي، الأمور ستكون بخير.

هدأت قليلاً... ثم نظرت إليه، في عينيها خجل... قالت: وماذا عن **ميريت**؟

نظر إليها بنظرة حادة: سأجعلها تندم.

سكتت؛ تذكرت حدته قبل قليل، كيف كلما اشتدت ينطق اسم **ميريت** بأنفاس خاطفة.

نظرت إليه بلوم، ثم سألت: ما زلت مصراً؟

قال: أكثر من قبل.

أمسك بذراعها: ستكونين معي في هذا.

هزّت رأسها ببطء، بمزيج مضطرب الدرجات من الاحمرار.

اقترب منها، وبنبرة لينة: ستكونين معي...

كانت عيناها تتثاقلان؛ ليس من التعب... لكن من شيء أثقل من **فهد**.

علامات فارقة

كانت **ناتاليا** تنزل، تعانق درابزين الرخام، بخطوات تنساب كقطعة حرير أسقطها أحد، حتى بلغت المطبخ.

هناك، كانت **ميريت** واقفة عند بار المشروبات، مشبكة الفخذين، تقضم أصابع البسكويت المملح ببطء.

ولمّا التقت عيناها بـ **ناتاليا**، رفعت قطعة نحوها، دعوة بعينين جريئتين، بيد أوحت إلى **ناتاليا** بأنها "أكلت الضرب".

رفعت **ناتاليا** حاجبيها بقوة، ثم تجاوزتها نحو **أسامة**، سألته: ما الأصناف التي طلبها **فهد** اليوم؟

قال، وهو يضرب راحتيه ببعضهما: يوم مشتعل بامتياز... أسماك وثمار بحر.

وانفرجت أساريره في ضحكة شبه بدائية.

ضحكت **ميريت** وبسخرية: من يراك، يظن أنك المستفيد من مفعول هذه الوجبة.

ردّ بطرف ابتسامة، ونظره عالق على شفاه **ناتاليا**: وما يدريك؟

أشاحت بيدها، رفرفة قصيرة تُسقط كلامه الموهوم، ثم استدارت.

بقيت **ناتاليا** واقفة، بلا حركة.

التفتت إليها **ميريت،** شعرت أن بها مكروهاً عظيماً، فاقتربت إليها لمسافة صفر.

همّت تسألها، لكن أوقفتها نظرات سقطت إلى صدرها؛ لاحظت ما يريب، رفعت نظرها ببطء، تتفحص، ثم خاطبتها بكلام كشف ذلك الاحمرار الباهت على الجسد الخمري: يبدو أن العمل في هذا القصر... يتطلب تضحية أكثر مما قيل لنا، تحمّل لدغات ذباب في غير موسمه.

ناتاليا ساكتة..

مدّت يدها إلى زند **ناتاليا** تسحبها بأنامل ناعمة: تعالي... خذي أنفاسك.

❐▼❐

أجلستها وقالت: اليوم لستِ معنا، رَمَقَتْها **ناتاليا** بنظرة تطالبها بنسيان ما لاحظت.

ابتسمت **ميريت** وبنبرة ماكرة: ما جرى لك؟ يبدو أنك مرهقة جداً. . . رفقاً بجسدك فله عليك حق.

ثم مالت نحو **أسامة**، وضعت يدها على كتفه بأنامل باردة: اطهِ السمك جيدًا... الخطأ فيه لا يُغتفر، من **فهد** و . . . لم تكمل.

نظر إليها بحدّة: عودي إلى عملك، دعيني من هذيانك.

مطّت الكلمة على لسانها: هذيان؟... يا للغباء!

ثم تفرّقوا داخل حجور أعمالهم.

حضر المستفيد الوحيد

غابت **ناتاليا** عن المطبخ، أما **أسامة** فكان نشطاً أكثر مما ينبغي... فله نصيب خفي اقتطعه لنفسه من هذه الوليمة.

الأيدي تعمل بسرعة، والوقت ينطوي، إلا أن **ميريت** تسرّب الملل إليها، فراحت تنفق وقتها بنظرات توزعها في المكان.

ناتاليا في الطابق الأعلى؛ صعدت بخطوات واثقة، مشية لا تُحدث طرطقة، لكن خصرها يصرخ.

صدى الخطوات تسرب إلى نفس **ميريت،** فهي لم تعهدها حذرة، وهذا ما أقلقها.

ليس قلقاً خالصاً، بل شعور امتزج بفضول من توسع البقع هذه المرة؛ فكم سيفلح اللون الخمري في مواربة الاحمرار القاني؟

❐▼❐

في الأعلى... دعاها **فهد** إلى شراب فاخر؛ بادئ الأمر ترددت، لكنه أصرّ، فجلست بقربه، هبطت واستقرت كأنها باخرة في أول تدشينها.

نظر إليها بطرف مكر أخفاه بصعوبة: الليلة عامرة... أسماك

وثمار بحر، أوصيتُ **أسامة** أن يطهوها على قدر الضمير.

ابتسمت: لا يحتاج وصية... كأنه ولد طاهياً، لا طالباً في كلية الفلسفة.

ضحك: كلها فلسفة... دعينا الآن من "التفلسف".

خفضت صوتها، ثم اقتربت حتى رست جانب حافة المكر، قالت: كلي إصغاء.

راح يتأملها: لا أريد أن يضيع هذا الطعام سدى... لا بد من استثماره.

قالت بنعومة، يتزحلق الكلام بها: ونِعم الاستثمار.

ضربها بأمواجه، وضع يده على زندها، قال: **ميريت**...

تصلبت لحظة، وبجدية: ما بها؟

ابتسم بسخرية، ثم تغيّرت ملامحه: أريدها هنا.

سئِمت مراوغاتها.

سكتت، ثم قالت: دعك منها... النساء تشبه بعضها في السرير.

رمقها وضحك مطولاً: يا لكِ! ما أفهمك! كل واحدة تترك بصمتها...

تماماً كبصمة اليد، ولا بد أن تُترك بصماتها هنا.

لم تُجبه؛ تقلب نظرها في الغرفة...

كأنها تبحث عن بصمتها السابقة، ثم اندفعت وعانقته: وبصمتي؟

قال: ما زالت على جسدي...

لكنك كما ترين، وسع الجسد، وكم يحتاج من بصمات! وإن أردتِ أن تبقى... نفّذي ما أطلب. (قالها بصوت حاسم).

همست: ما طلبك؟

قال: تخطر ببالي جريمة على هذا السرير، يحار بها الطب الشرعي.

بهتت من جديته، شزرها بمزيد من الجدية، ثم غرق في قهقهة وقال: أيتها البلهاء، كجريمتنا السابقة.

هبط منسوب الدهشة، ثم أردف: عندما ينتهي **أسامة** ... خذيه واخرجا دون أن تراكما **ميريت**.

ترددت: إلى أين؟

انفجر: لا يهم، إلى جهنم! المهم أن تختفيا من هذا القصر.

ثم أشار بيده: هيا اذهبي.

نفضت نفسها ثم غادرت متوجهة إلى المطبخ. . نزلت.

في البهو... لمحَت **ميريت** في الخارج، تباطأت ورمقتها بنظرة كسهم انحرف، ثم أسرعت حتى بلغت **أسامة** من الخلف، مررت أناملها على كتفه.

التفت مفزوعاً... رآها، فاقشعرّ.

قالت بنبرة امتصت هوله: ما بك؟

ما زال مبهوتاً.

اقتربت: كم بقي لتنهي هذه الوليمة؟!

قال بصوت مبحوح: نصف ساعة... تقريباً.

نظرت في عقارب عينيه المضطربة، قالت: أحتاج هواءً خارج هذا القصر، أشعر بملل شديد، عندما تنتهي... نخرج.

قال متردداً: و**ميريت**؟

قالت باستياء: ستُتعبنا بأسئلتها، ولا طاقة لي بها، ولا أريدها أن تشعر بنا.

هزّ رأسه، وانتهى قبل الموعد؛ صفّ الأطباق كمهندس ديكور، ثم خرج.

كانت تنتظره خارج القصر، تراقب الطريق.

تركا خلفهما مطبخاً بلا صوت، بلا أجساد تتحرك.

رنّ الهاتف عدة مرات، حتى جاءت **ميريت** مسرعة.

وجدت المكان مزدحماً بالصدى.

ردت على الهاتف، جاءها الأمر: أين أنتم؟ (صوت **فهد**).

قالت: أنا هنا وحدي.

أين الباقي؟

لا أعلم.

صمتَ، ثم: والطعام؟

نظرت أمامها: ها هو أمامي.

تنهد: جيد أنه لم يختفِ هو أيضاً، اصعدي به.

ميريت: فوراً (بنبرة طائعة)، ثم حملت الأطباق.

❐▼❐

في الغرفة... كان ينتظر بتعَالٍ كأنه في حفل تكريم.

يراقبها وهي تنحني، مرة بعد مرة.

حتى انتهت، استقامت وقالت: لو سمحت لي أن أنصرف الآن.

قال: لم يحن وقت انصرافك.

قالت: لا أحب أن أذهب وحدي... بعد خيانة الاثنين.

اقترب: لا تقلقي، السائق سوف يتولى الأمر.

ابتسمت مترددة: سأعود للأسفل.

نظر إليها: وتتركينني وحدي؟

قالت: الطعام خير أنيس.

ضحك: أنيس ناقص.

أشار: اجلسي.

فجلست على مقعد الإحراج.

بدأ يأكل بشراهة، بأنياب تنبئ بما يشتهي، أو سيكون.. وهي تراقب، ونبضات قلبها تتصاعد.

وهو يأكل ويسترق النظر إلى تداعيات النبض على صدرها، حتى انتهى.

❑▼❑

نهض، مشى... ثم عاد حاول أن يقترب منها؛ تراجعت.

قال: لا تخافي.

همست، بالكاد سمعها: لا شيء يدعو للخوف.

إذن؟

اقترب أكثر: كم يظلم المطبخ الجمال!

ابتسمت: هذه الدنيا.

قال بحدة: بل يُغلب مَن يتركها.

قالت: يترك ماذا؟

قال: الفرصة التي تبدل حياة الجميلات، (نظر إلى الطعام): الذكي لا يضيّع الفرص.

ثم التفت فجأة بملامح بهلوانية، جحّظ بعينيه: أفهمتِ؟

هزّت رأسها بدهشة: لا.

قال: أنا فرصتك.

تغيّر وجهها، وتراجعت خطوة؛ قال مستاءً: ليست محاضرة في الجامعة، لا تتصنعي الغباء... لا تخافي... سيكون لكِ أكبر بصمة هنا.

قامت كمن لسعها عقرب، هرعت نحو الباب؛ أمسكها بسرعة وقال بلهجة لئيمة: الدخول ليس كالخروج يا عزيزتي.

نزعت يدها بصوت قاسٍ: مَن تظنني؟

قال: لا تضيعي الفرصة.

قالت: التفريط بالشرف ليس فرصة.

تصلّب: الشرف خرج من هذا القصر ولم يعد.

راحت تنزع نفسها عنه: لن يكون لك ما تريد.

أخذ يقربها ويبعدها كأنه يأرجحها: **دعكِ** من كلامِك الفارغ، الشرف هنا مجرّد شكليات.

نظرت مستجدية، نظرة اختلطت باستجداء، أرخت قوته؛ لحظة كانت كافية لتنسلخ عنه.

فتحت الباب... وخرجت تسابق الرياح.

بقي واقفاً على قدمي الإنكار، استعاد قوته ثم أفرغها ضرباً على الباب، وراح ينظر حوله لا يدري ما يفعل، حتى وقع نظره على الهاتف؛ اتصل بـ **عابد** يفضفض له ما جرى.

❐▼❐

في المقهى القريب... كانت **ناتاليا** تراقب الطريق؛ طريق المغادرة الوحيد من القصر نحو سيارات الأجرة.

أسامة أمامها... قلق، لا يجد تفسيراً لسبب دعوتها؛ دعوة خيّبت تطلعات قشعريرة بدأت من كتفه في المطبخ، وهي ما تزال شاردة، تهرب منه بمختصر الكلام.

حتى التقت مسير **ميريت**.

نهضت، وغادرت.

وقف **أسامة** مبهوتاً كأنه حقيبة رثة لا تضم تلك الأغراض المهمة، لكنه لحق بها على عجل.

❐▼❐

فهد يصرخ كمن أصابه مسٌّ من جن الرفض، يصرخ دون أن يسمعه حارس كسول.

بعد وقت، وصل **عابد،** توجه إلى غرفة **فهد،** وجده ثائراً؛ راح يهدئ من روعه، وبعد فتور، اقترب منه وقال: لعلك تسرعت في الانقضاض عليها..

فهد: كنت أظن نفسي متأخراً.. كانت تدعوني كل تصرفاتها لافتراسها.

استغرب **عابد،** كيف؟

فهد: حركاتها رغم بعدها كانت تختلط في لحمي.

قال **عابد**: لِمَ هربت إذن؟

فهد بدهشة: شرفها منعها.

كادت عينا **عابد** أن تقتلِعا من وجهه، قال: المال والجاه يليّنان كل قاسٍ، أظنها تتلاعب ليس إلا.

فهد: لا جلد لي على حمق الجميلات.

أجابه: انتظر، لا تفسد يومك.

بعد لحظة، وقع نظره على مائدة ما زالت تحتفظ بالكثير من الطاقة، راح يتأمل صورة **عبير** على أطباقها، ثم قال ضاحكاً: يا لخسارة هذا الوقود!

لكزه **فهد** ممازحاً، وقال: أصبْ منه.

فجلس عازماً أن يخفف من خسارة صاحبه.

❐▼❐

أما **ناتاليا** فبلغت منزلها، بعد سير مع حوارات فوق الشوارع.

دخلت غرفتها على عجل، ورمت بنفسها على سريرها، غارقة فوق فراش التساؤلات.

وفجأة تجمدت، شلّت بالكامل.. توقفت كل حواسها.. إلا النظر، ما زال يحدق في **ميريت**.

نِيَّة المرور على السنين

وصلت **ميريت** إلى منزلها، اخترقت الباب كفراشة بخفة طفولية.

كانت أمها في صدر المجلس، فأزهرت لما رأت ابتسامة **ميريت**؛ ثغر مضيء في عز الليل.

ربّتت على المقعد بجانبها: تعالي.

ميريت جلست.

قالت الأم: دام فرحكِ، بشري ما وراءكِ..

ابتسمت وقالت: وقع.

ضربت على فخذها ممازحة: اتركي التلميح.

قالت **ميريت**: الكرش.

زاد استغراب الأم: أي كرش هذا؟

كرش يتقدم صاحبه، في الطريق إلينا.

اتسعت عينا الأم: الآن؟

ضحكت **ميريت**: ليس هكذا.

تغيّر وجه الأم: كيف إذن؟

قالت: سيلحق بي بعد فراري من غرفة نومه، محاولاً أخذ أعز ما أملك.

اشتعل وجه الأم: الحقير...!

قاطعتها **ميريت** بابتسامة امتزجت سخرية ودهاء: لا تشتميه أرجوكِ. (وزادت في ضحكها): المهم عندما يأتي، يجد أصنافاً كثيرة من الطعام.

نظرت إليها الأم بحدة.

قالت **ميريت**: وهذه البداية فقط، رميت طعماً ناعماً لصيد حوت تافه.

سكتت لحظة، ثم أضافت تتمتم: مَن يستعصي عليه... يطارده، ومَن يلاعبه بالطعم يجننه.

شردت الأم بها: هل تذوق أي طعم؟

نظرت **ميريت** بعين الاستنكار: أن يطال القمر بيمينه، أيسر عليه... لن ينالني، إلا بعد عقد مقدس.

رفعت الأم يديها بالدعاء، متوسلة بأقدس الأسماء.

ميريت تركتها مع خلوتها، ودخلت إلى غرفتها لتنام على وسادة بخد الوداع المحتوم.

في الصباح... التقوا في الجامعة، لقاء كأنه كان مدبراً.

نظرات **ناتاليا** كانت مكشوفة أكثر من اللازم، ولم تحاول إخفاءها؛ لاحظت **ميريت**، فاقتربت منها: ماذا هناك؟

لم تُجب.

في ساحة النقاش، بين الطلاب... لم تفتحا موضوعات فلسفية، على الرغم من عمق الموقف.

ميريت سألتها: لماذا اختفيتما أمس؟

نظرت **ناتاليا** إليها: غريب! ألا تعلمين؟

اشتد صوت **ميريت** وبنبرة غضب: لم أكن معكما، أم ترينني فتحت المندل؟

قالت **ناتاليا**: طُلب منا الانصراف، دون سبب واضح.. ثم أضافت: وأنتِ؟

قالت **ميريت**: بقيت... حتى افترشتُ له كميات الطعام.

صمت مريب، ونظرات تطوي الوقت وتكشف "الودع"، ثم قالت **ناتاليا** ببطء: جيد... إن اكتفى بالتهام الطعام.

ابتسمت **ميريت** ابتسامة حادة، اقتربت منها لمسافة صفر، وقالت هامسة: غريب، ها هي آثار الأنياب تتلاشى.

رمقتها **ناتاليا** بنظرات تبيّت الكثير، ثم ردت: لا تقلقي

سيكون للأنياب منكِ نصيب، إلا إذا نأيت بهذا القدّ عن المرور بجانب القصر.

ميريت قالت فوراً: إن اكتفيت بالمرور فالأمر بسيط.

نظرات **ناتاليا** تحيطها في تفاصيلها: ما وراءكِ؟

ردت: لا شيء، سوى سنين بائسة سأمر عليها.

شعرت **ناتاليا** بوقاحة الأحلام.

اقتربت **ميريت** خطوة: الموقف بيدي، لطالما أن صاحبكِ ما زال ينظر... بشهية. (وأشارت إلى فستانها).

تغير وجه **ناتاليا** لكنها لم تتراجع في داخلها، أجابت دون أن تنطقه صوتاً: اللعنة عليكِ... وعليه... يستكلب على تفاحة لامعة، فاسدة من الداخل.

ساء **ميريت** شرودها، قالت: أين غادرتِ؟

ناتاليا: إلى بستان تفاح، فاكهة يحب **فهد** نهشها.

ضحكت **ميريت** وقالت بمكر: الحمد لله، ما زلتِ سالمة يا "تفاحتي".

ردت بمكر مضاعف: يحب أن ينهش التفاح اللامع... غالباً، مهما ساء طعمه.

ميريت: دعينا نرى.

هنا تدخل **أسامة** بعد ضجر: ما هذا؟

نقاش بائعي الفواكه!

نظرت إليه **ميريت** ببرود: يا حسرتي على ما ألقيت من بذور في غير أرضك.

كادت **ناتاليا** تصفعها، لولا أن رأت برهاناً بعيون **ميريت**، فتوقفت يدها.

ثم انصرفوا... إلى القاعة، يحمل كلٌّ منهم ملفاً دراسياً بألوان زاهية.

مدفع بلا بارود

وما إن عبروا البوابة... حتى استقبلهم المدفع، مصوّباً نحوهم دون أن يرمش؛ فتجمّدوا في مكانهم.

أسامة ارتبك، راح يحدّث نفسه: رحماك يا رب... يوم مريب منذ بدايته، أمعقول أن يُحاسب على حماقة **ناتاليا**؟

يا ضياع نزهة لم تؤتِ أُكُلها، ثمرة سقطت هرباً من غصن الأمل.

نظر بطرفه نحو **ناتاليا** وهي تتطلع إلى **فهد** كأنها عائدة إلى سجانها، بعد فرارها من سجن مسائي عابر.

أما **ناتاليا**، فلم تنظر إلى المدفع... كانت نظرتها "بارودية"، كأنها تقول: ومَن يحق له الغضب بعد فعلتك؟

وبينهما، كانت **ميريت** تقف بتمايل لا يستقر، تحاول أن تلتصق بأحدهما... لكنها تتوازن رغماً عنها.

ظلّ **فهد** واقفاً... ساكناً، لكن داخله متقد؛ عيناه على **ميريت**، سواد ثقيل فيه ما يكفي من لون الوعيد، ودون أن يحيد بنظره، قال بشدة:

اذهبا إلى عملكما... أما أنتِ، يا "ملكة جمال القصر"، انتظري.

لوّح لهما فانصرفا، وبقيت **ميريت** واقفة، رأى مقاومة في ثباتها.

❐▼❐

وما إن اختفيا نحو المطبخ، حتى اندفع نحوها.. بينهما دوامة من الهواء.

قال: أتتذاكين عليّ في هروبكِ؟ ما الذي أعادكِ لمكان لا يعترف بالشرف؟

أجابت بمسكنة: لم أُطرد بعد... وإن شئت، أرحل الآن.

ابتسم بسخرية: إلى أين؟ كأن الوظائف مصطفّة بانتظاركِ.

رفعت رأسها قليلاً: أمام هذا الفستان... "وحياتك" يصطف صناع الوظائف بأنفسهم.

حاول أن يسخر، وقال: ما شاء الله... الأقمشة صارت تمنح الثقة وقوة القلب!

قالت بهدوء: أضف لهما الفطنة.

هزّ رأسه بملامح منقبضة، ثم اقترب أكثر: ولَم لم تقوِّ قلبكِ وفطنتكِ البارحة؟

ضحكت... بشفاه تجرح: بل كانت حاضرة... ألم ترَ كيف أفلتُّ منك؟

مدّ يده كأنه ينوي وضع القيود في ذراعها، ثم توقّف: ما الذي تحاولين فعله؟ دعكِ من هذه الحيل.

قالت: أين التحايل؟ كل ما في الأمر... أنني لن أفرّط في شرفي.

بملامح ساخرة: دعي هذه الكلمات... وحتى إن فعلتِ، فلن يكون مجاناً.

رفعت رأسها، رأى على جبينها رفضاً معلناً.

قال بنبرة أنهكها الصبر: فما الحل إذن؟

هزّت كتفيها: لا أعلم.

قال: لا مشكلة بلا حل.

نظرت إليه... نظرة تشبه ما قبل النوم: ابحث... وستجده.

سكت لحظة، ثم قال فجأة: زواج... لا مانع من الزواج... (سكت وبصوت خافت): لكن سريّ.

صمتت بملامح رافضة.

قال متعجباً: ألن تقبلي؟ ليس لكِ عذر بعد هذا.

رفعت عينيها إليه، وقالت بحسم: أنا لست رقعة ترقع بها ثقوب شهواتك.

اشتدّ صوته: تجهلين موقعي... كيف أواجه الناس؟

ابتسمت بسخرية مقصودة: الناس! متى حاسبوا غنياً على سقطاته أصلاً؟

ثم اقتربت خطوة، وقالت بحسم: مهما فعلت، صعدت أو هبطت، شرقت أو غربت. . . لن تنالني...

إلا بما يليق بي؛ سيدة متوجة في هذا القصر وعلى عرش حياتك، أو انسَ الأمر.

❐▼❐

استدارت، وانسحبت نحو المطبخ بسرعة.

في المطبخ، رمقتها **ناتاليا** بصمت مستتر، بشماتة من دخول صاحبتها المتعكر.

بدأ العمل كأنهما زوجان متخاصمان يحافظان على هدوئهما؛ حتى لا يتعكر مزاج الصبي المنشغل بالقِدر.

الوقت يتحرك ببطء شديد... رغم تسارع عقاربه في صدورهم.

أما **فهد**، فكان يتنقّل بين الحديقة وفي كل أرجاء القصر،

بخطوات ثقيلة محاولاً البت في قرار من كلمة رشيقة.

❐▼❐

قبل المغادرة بنصف ساعة، استدعى **ميريت.**

اقتربتْ، منكّسة الرأس: سمعاً يا سيد **فهد.**

ارتخى في جلسته، وقال: سبحان مغير الأحوال...

صمتتْ.

ثم قال: فكّرت كثيراً في الأمر، ولا مفر من خوض التجربة.

رفعت وجهها قليلاً... ابتسامة مكملة لتلك التي دخلت بها إلى أمها.

اقترب منها: متى نبدأ؟

رمقته كناظرة مدرسة بنات، وقالت: نبدأ بماذا؟

بادلها نظرة تخلو من جلد الشرح: الزواج.

قالت: حدد الوقت الملائم لك، لكن لي شرط.

تأفّف: وما هو؟

قالت بهدوء مصطنع: لا تُعلن عن العروس، أريدها مفاجأة... تظهر ليلة الزفاف.

قطّب وجهه: آخرتي، عبث مراهقات...

اقتربت منه، وبصوتٍ ناعس: سيكون له أثر أكبر... في قلوب الجميع.

نظر إليها طويلاً... ثم صدّقها.

جثة بالكاد تتحرك

ما انفك يحاول إدراك خطوات تسبقه غير مرئية، وكأنه بين مزدحمين يحاولون اختطاف **ميريت** منه، حتى بلغ الباب.

انفتح بعنف مقتضب، لكن كمن أزاحه من مكانه..

توقفتْ عند العتبة لحظة، التقت أنفاس سريعة كأنه خارج من نفق.

دخل عمق غرفته، أخذ يخلع ملابسه بشكل أسرع من أن يُرى، كأن الوقت يطارده من نفق الانتظار المقبض.

ثم تفرّغ لجسد **ميريت**، راح ينزع الفستان كمعدم ظفر بلقطة ثمينة، ثم رمى اللقطة فوق السرير.

لم تقاومه، غير أنها تساءلت مع نفسها عن استمرار النزع، عن أصابعه وأنيابه التي تغوص في جسدها، كأنها تنزع جلدها.

انطفأت وسط اشتعاله.. عينان تهبطان، وكتفان يغرقان، حتى بدا وكأن ما يُمس ليس إلا جثة باردة، هلكت بعد وقت من صدور شهادة وفاة بألوان مبهجة.

حاولت أن تعترض... بيديها اللتين صرختا بوجه صدره،

نددتا بثقل كرشه، صعّدتا بالنأي عن الجسد، إلا أنه كان بمثابة رجاء لم يكتمل، أو قوبل برفض حاسم.

فلا صوت فوق صوت معركة الغريزة، ولا إصغاء لأي مساعٍ دبلوماسية مستجدية.. إنه العجز عن سماع أي اقتراح هدنة قبل تفريغ مخازن السيرة الأولى.

فكان كلما ازداد اقتراباً، ازداد ابتعاداً، وهي تحت يده.

❐▼❐

وبشكل مفاجئ.. تراجع.

رفع جسده فوقها، راح يتأمل وجهها مغلق العينين؛ ظلت جامدة وهو يحدق، وما لبثت أن حركت أهدابها.

انسلخ عنها ورمى بنفسه على حافة السرير، يلتقط أنفاساً حالت دون استقرار جلوسه.

أخذ يمسح بيديه على فخذيه، كسيدة مفجوعة "بجملها".

نظر إليها بعين كليلة تتفحص آتياً من بعيد؛ كانت هناك... جسد ممدد، بملامح لم يفهم منها الكثير.

ثم أشاح بوجهه؛ لقد خاب ما ينتظره من جسد، حدّق في أركان الغرفة كأنها فجأة أضيق من غرفة **ميريت** في منزلها.

تمتم بكلمات لم تكتمل، بين سخرية خافتة وامتعاض

مكبوت، ولم يلبث أن حاول النهوض.. لكن الجسد امتنع عنه، دون النظر إلى رغبته.

حاول، قام ودلف خطوات حتى استسلم للمقعد القريب، يغرق فيه بثقل واضح.. أنفاس متقطعة، وصمت.

❐▼❐

وبينما هو جالس فوق مقعد الخيبة، تذكر...

تخطيط أسبوع قبل موعد الزفاف.. زفاف مزج البساطة والهيبة، والظهور الملكي للعروسين الذي صعق منه بعض الرعية، لكن الابتسامات العريضة كانت كفيلة بإخفاء أي دهشة.

ها هي **ناتاليا** تتجمد كفاها لحظة رؤية العروس، رغم تكذيبها حدسها طيلة أسبوع، بعد رؤيتها تحضيرات الزفاف وغياب صاحبته؛ بقيت مدهوشة حتى تلاقت نظرات الصاحبتين.. لحظة مسح **ميريت** على خد **فهد** بأنامل ناعمة، مررتها حتى كرشه، بنظرات كيدية كرصاص ضرب حدقة **ناتاليا**.

حاولت **ناتاليا** التماشي مع طقوس الزفاف، الذي انقلب في داخلها لحفل تأبين.

مضى الوقت والناس ينفضون حتى آخرهم.. لم يبقَ سوى أم **ميريت**، ودعتها بدموع حارة، وقد ازدادت حرارة **فهد** من إطالة الوداع.. شعرت الأم بتبكيت الضمير، فلا يجدر بها إضاقة من

جعل حسابها البنكي حاراً... فانصرفت.

❐▼❐

في الغرفة المجاورة على بعد أميال حيث **ناتاليا**، كانت مرمية تكتم صراخها بعضِّ الوسادة بأسنان الفاجعة؛ وسادة أضحت مستنقع دموع لا يابسة آمنة فيه، كيابسة ما لبثت أن خلفتها وراءها مع **أسامة** الذي أصرّ أن يصطحبها لباب منزلها.

ومع سؤال **أسامة** الملحّ مع كل خطوة، حول ما ألمّ بها، كان يتراجع خطوات من سكوتها؛ وبعد يأس ودعها أمام الباب، ولم يلتفت إلى طيف ثالث سبقها، طيف **فهد**؛ ذلك الغارق في عقلها، الذي ما زال غارقاً فوق مقعده.

وبعد أن استجمع عزمه، بإرادة عيون تحدق بجسد مرخ أعاد إثارته، همّ للوثوب عليها، كاد أن يسقط قبل أن يبلغها، لولا أن أنقذته راحتاه اللتان استقرتا على ركبتيه، وحالتا دون سقوطه.

نكص إلى مقعده، بأنفاس مثقلة وجسد خائن.

❐▼❐

على عكس آخر، قلما تخيب توقعاته فوق الفراش..

هناك **عبير** كانت ترمي حبوب المكسرات في فم **عابد**.

يتفاكهان، يتندران بشأن الزفاف ومفاجآته، التي أثارت

شرود **عابد**؛ شرود لم يثر فضول **عبير**، إذ لم تلحظ على ملامحه انزلاقات صبيانية جراء تعثرات خيالات بطلته صاحبة الجسد الجليدي.

غرفة الإِفاقة

استيقظت **ميريت** بجسدٍ مثقل، للوهلة الأولى ظنت نفسها في غرفة العزوبية، فرأت نفسها في غرفة "الإفاقة".

ثم تذكرت... أين هي، فنفضت نفسها دون تردد؛ غسلت جسدها كأنها تمحو بقعاً مستعصية عن ثوب لا تملك غيره، تحتاجه لخروج لا يؤجل، لكنها فشلت في إخفائها، وبعدها ارتدت لباساً منزلياً هادئاً.

في الشرفة، امتد نظرها نحو الحديقة حتى طرق بـ **فهد**؛ ثم جاء **أسامة** يضع القهوة أمامه، فتوقفت لحظة، لعبت بشعرها، وضعت نظراتها على ظهره.. دون أن تدرك انزلاق أناملها، إذ فشل الشعر الحريري في كبح الأنامل المرخية.

بعد دقائق نزلت؛ استقبلها **فهد** بحرارة، تحدث عن اليوم... كيف سيمضي، فقاطعته بهدوء: وماذا عن سد فراغي في العمل؟

توقف قليلاً، ثم قال: لا تقلقي، اليوم ستأتي اثنتان.

نظرت إليه، نظرة تسأل وتجيب في آن: تدريب، وصداع... ولا نعرف خيرها من شرها.

صمت، فأكمل هو: لا يمكن أن نُرهق **ناتاليا** و**أسامة**...

ابتسمت، ابتسامة "قضي الأمر": بل يمكن.

نظر إليها: ودراستهما؟

رفعت كتفيها بكل قوتها: وأي دراسة ستُطعمهما؟ سوف نضاعف راتبهما.

ضحك، لكن ضحكته لم تكتمل: محسوبية إذن؟

قالت: مساهمة لتحسين وضعهما.

قالتها، وكأنها تمنّ عليهما... ولا تأخذ منهما مقابلاً؛ هزّ رأسه دون اقتناع... كأنه ينفض عنه غبار جدال محسوم.

❑▼❑

في المطبخ، دخلت **ميريت** بخطوات ناعمة؛ ألقت تحية باردة بأعين مترقبة، اقتربت ولم تشرح كثيراً، بل قالت باقتضاب: سأكون هنا معظم الوقت، وأحتاج من يكون حاضراً طيلة اليوم.

نظر إليها **أسامة**، واقترح حلاً سريعاً: عاملة جديدة.

هزّت رأسها: لا.

ثم نظرت إليهما مباشرة: تتفرغان للعمل هنا.

ساد صمت ثقيل، ثم قالت **ناتاليا**: هذا... كثير، كثير؟

رفعت **ميريت** حاجبها: أتحطمين صخوراً؟ لم تجب، فأكملت: بعض الساعات، وكأنكما في الجامعة، مقابل راتب مضاعف... وراحة أكثر مما تتصورين، فالعمل لن يتضاعف.

نظرت إليها **ناتاليا**، ولم تقل نعم... أيضاً لم تقل لا.

ابتسمت **ميريت** ابتسامة جديدة عليهما: فكّرا... لكن ليس طويلاً، ثم خرجت.

قال **أسامة** بحدة: هذا استعباد.

لم ترد **ناتاليا** فوراً، فقال: نترك العمل، نجد غيره.

نظرت إليه، ثم قالت ببطء: ونبدأ من الصفر؟!

سكت، فقالت بنبرة شريكة: سنة واحدة... ندّخر... ثم نكمل كما نريد؛ سنخسر سنة، ونربح بعدها.

لم يكن مقتنعاً تماماً، لكنه أبدى قناعة تامة.

❐▼❐

عند المساء، عادا محملين بأكياس؛ راحت **ناتاليا** تنقلها بصمت، دفعة تلو أخرى، حتى انتهت.

سألتها **ميريت**: ما القرار؟

ردت بعد سكتة عابرة: موافقان.

هزّت **ميريت** رأسها بهدوء، كأن الأمر كان محسوماً منذ البداية، ثم قالت: يمكنكما الانصراف اليوم للراحة.

توقفت لحظة، ثم أضافت: غداً... البداية.

ارتدادٌ صامت

تمرّ الأيام، ينطوي شهر مصفى، عسله تقاطر على جوانب الزوجين... خارج الغرفة.

كانت **ناتاليا** تراهما يصعدان الدرج، كخابية تتمايل "تندلق" منها أكياس جمّة؛ إذ ذاك، تقف تراقب بشدة، تطلق سهام تساؤلات لا تُسمع.

وكانت تسمع طرقطة خطوات كأنها إجابات لا تعجبها، تردها بدعاء براحتي الاستياء، تتمتم: لا أشبع الله بطنك... ولا. . . ثم تصمت، كأنها عضّت بقية الدعاء بأنياب مكسورة.

ومع كل صعود قائمة، كانت الأسئلة تتصاعد، إجابات فورية تصدع من ضرب النائمة، تتلاشى شيئاً فشيئاً مع اقترابهما من الغرفة. .

باب يُغلق في أعماق ممرّ، وكأنما يُغلق بوجه **ناتاليا** رغم احتجابه عن نظرها، صريره لطالما يغيظها.

أما داخل الغرفة، فلا شيء يشبه ما تتخيله من أصوات؛ أحياناً، يعود **فهد** مثقلاً، تنهار رغبته قبل جسده، كأنه يشتري ما نقصها بأثر رجعي.

حينها لم يكن **فهد** يتعاطى مع الأثر الرجعي كما تفعل الدولة مع حقوق موظفيها، المعينين معظمهم كما عُينت **ميريت**، بواسطات طائفية خليعة.

❑▼❑

وكان **فهد** أحياناً يجلس... ليفكر بعدما ينظر إلى **ميريت** الغارقة في نوم يبدو عميقاً...

يقترب منها، يمدّ يده ثم ينكص، ثم يقترب أكثر فيسمع أنيناً دون حركة، لتبقى كما هي؛ كأن النوم حصن... يحول دون اغتصاب زوجي.

ثم يتقهقر إلى طرف السرير، ينهض فجأة على أرجل الإنكار، يتوجه إلى المرآة، يستغرق يتأمل وجهه، يدير رأسه ببطء، وتمرّ يده على بطنه بحركات التفافية. .

كأنه يدوّر الزوايا كما يفعل الرمز الماسوني!

يأخذ محدثاً نفسه: لست بهذا السوء... يقولها بنبرة واثقة...

ترتد أصداؤها بجدار المنطق المتصدع.

يعود إلى مقعده، ثم يلتفت إليها بنظره، فتبدأ الدوامة من بطنه صعوداً إلى رأسه، يسأل نفسه:

هل تنام فعلاً؟ أم تعزز تحصيناتها؟ إذا كانت لا تريدني...

فما سبب وجودها هنا؟

ولماذا قبلت الزواج أصلاً؟

أين المشكلة؟

أم أن وراء القلعة ما وراءها؟

تتزاحم الأسئلة داخل باحة صدره فيضيق، ويضيق. .

يهرب بأنفاس مقارنة قاسية إلى **عبير**. . . تظهر فجأة في بهو ذهنه؛ امرأةٌ في بيت لا يتعدى هذا الجناح الملكي مع رجلٍ من رعيته...

ومع ذلك تبذل، تحرص، تحيط بـ **عابد**.

يتحدث بلسان المرارة: أنا من رفعتك... أنا من جعلتك في هذا المكان... فلماذا...؟

سؤال وقفت كلماته. . كما هو حال كل محاولاته.

يتمدّد أخيراً، ويأتي النوم كإغلاق مؤقت لأسئلة كفراخ تتكاثر.

❐▼❐

في المطبخ، **ناتاليا** تعمل بإيقاع مشتعل، كشمعة تذوب أمام **أسامة**؛ يقترب، يحاول إبطال احتراق فتيلها، فتميل بألسنتها نحوه، تبعده، يتراجع.

ثم يأخذ يتأمل تقاطر الأعذار الواهية على جنباتها، فلا يجد ما يقوله.

يمسك السكين، يشدّ عليها حتى تألمه يده، ويفكر:

هل هذا اكتئاب؟

لَمَ تغيّرت...؟

أم أنا الذي لم أفهمها يوماً؟

ثم يسكت.

تتوارد في رأسه تساؤلات كثيرة، ثم يسأل نفسه: أنا أحبها، وهي تعرف، ومع ذلك...

تحترق وحدها؛ لا تدعني أقترب، ولا تسمح بابتعادي، لقد سئمت من التخبط الرمادي فوق فتيل متفتق.

❐▼❐

يقفز إلى النافذة، يستقر، ينظر ويبتسم بسخرية ويسأل أقصى ما يترآى له:

هل أنا سند؟

أم عبء؟

أم مجرد بديل فوق دكة عقلها؟

تتسع الفجوة داخله أكثر من براح المنظر، ثم يصل إلى السؤال الأخطر: هل أبتعد...؟

الفكرة وحدها ترجف لسان حاله؛ يبتلع ريقه، ينفض الأفكار من رأسه، ويتراجع بسرعة إلى عمله..

وكأن القفز... لم يكن، وكأنه قبض قبل حين على عقارب التساؤلات، حينما شدّ على السكين.

وصْمة، تسترها ترهُّلات

بعد وجبةٍ ثقيلة، وحبوبٍ ابتلعها **فهد** بلهفة من أنامل **ميريت** التي ناولته كأس الماء، صعدا إلى غرفة النوم وهو يعدها بيوم مختلف؛ وما إن أُغلق الباب حتى اندفع نحوها بحماسةٍ متهورة، ألقى بها فوق السرير بعنفٍ كثور رأى جسداً مكسواً بالأحمر.

صرخت غاضبة: لعنك الله، ألن تتعلم الرفق؟!

دفعته عنها بكل ما استطاعت، بينما ظلّ يحاول افتراس الأكتاف الطرية، كأن اندفاعه أصمه عن كلماتها، حتى تمكنت أخيراً من الإفلات، ونهضت تعدّل أنفاسها وملابسها معاً.

قالت بحدة: لن ترتاح حتى تحطمني بالكامل؟!

ألا ترى نفسك كيف تتصرف؟

نظر إليها بثقة: هكذا هي أفعال الرجال، النعومة لجماعة "الألوان".

رمقته بنظرةٍ قالت الكثير؛ كانت تتفحص بطنه وترهلاته، التي تسفر عن وصمة ذكورية لا تهاون بشأنها.

راح يلهث من فرط النظرة، واندفع نحوها: ما عساي أن

أفعل؟

أشعر بطاقةٍ تكاد تفتك بي.

رمقته بنظرةٍ تواري نفورها: طاقة؟ أو ثقل يسقط فوقي كل مرة.

ضاق وجهه، وقال بنبرة متبرمة: كفى هذا الكلام، تفسدين به كل لحظة.

حاول أن يمسك بيدها لتعود إلى السرير، لكنها سحبتها بعنف؛ وهنا بدأ مفعول الحبوب يظهر بوضوح.

قال: سئمت من تصرفاتك، أشعر وكأن بيننا حرباً لا زواجاً.

ردّت فوراً: لأنك لا ترى في الأمر إلا نفسك.

ثم أضافت سؤالاً جارحاً: ألا يكفيك الطعام حتى تريد التهام كل شيء حولك؟

ضحك باستهجان: وهل هناك من يعزف عن الملذات؟ إلا غبي.

❐▼❐

قالت وهي تنظر إلى علب الحبوب الملقاة قرب الطاولة: الغبي من يترك علبة تلتهمه.

هزّ رأسه ساخراً: والآن أصبحتِ طبيبة أيضاً؟

أجابته: بل عليلة من أفعالك.

اقترب منها وهمس: هلمّ إلى جلسة علاجية؛ رمقته بنفور سافر، فوقف مرتبكاً على قدمي رغبةٍ مشتعلة أمام برودها القاطع، ثم انفجر صوته:

إذاً ماذا تريدين بالضبط؟!

أجابته بلا تردد: أن تتخلص من هذا الكرش اللعين.

اتسعت عيناه بصدمة امتزجت بالإهانة، وقال بضيق:

ألهذه الدرجة يزعجك؟ أأنتِ من يتحمل عبئه؟

ردّت ساخرة: أنت تحمله... لكن ثقله يقع عليّ؛ ما يضرك لو أصبحت رشيقاً؟!

ساد الصمت لحظات؛ تراجعت وجلست على السرير، ثم قالت وهي تعقد ساقاً فوق أخرى:

اسمعٍ، إن كنت تريد أن يتغير شيء في علاقتنا، فابدأ بنفسك أولاً.

تنفس بصعوبة، وقال بصوتٍ خافت: الأمر ليس سهلاً كما تتصورين.

أجابته على الفور: بل أسهل من التهام وجبة غداء...

سخر وبنبرة متوترة: كيف؟

قالت: عملية بسيطة وتنتهي القصة.

انتفض بعصبية "ثورية": مستحيل...

هزّت كتفيها بلا اكتراث: هذه مشكلتك إذاً... لا مشكلتي.

ثم استلقت عند طرف السرير، تاركةً الحبوب تضغط عليه؛ أما هو، فظل واقفاً وسط الغرفة لا يدري أين المفر، يتخبط بين جرح كبريائه وضغط جسده.

وفجأة لمعت فكرةٌ في رأسه؛ ارتدى معطفه على عجل، استدار مسرعاً نحو الباب، وهرع إلى الأسفل.

ارتطام بِلا صوت

توجه **فهد** إلى مكان السائق، وما إن رآه الرجل حتى انتصب احتراماً؛ اقترب منه **فهد** وقال: اليوم سأقود وحدي.

نظر السائق إليه بعينين مرتابتين: هل بدر مني ما أزعجك؟

ضحك: لا تقلق، أريد فقط أن أتنزه مع **ميريت** وحدنا، وبحركةٍ خاطفة دسّ في يده مبلغاً من المال:

خذ بقية اليوم لك، وعد غداً.

انصرف السائق، فتوجه **فهد** نحو الداخل بخطواتٍ سريعة؛ دخل المطبخ ونادى **أسامة**... تعال.

اقترب **أسامة**، فخفض **فهد** صوته قائلاً: السائق اضطر للمغادرة، وهناك خاتمٌ يجب أن أستلمه من محل المجوهرات **لميريت**، ولا أستطيع الخروج الآن؛ خذ السيارة وأحضره.

أملى عليه العنوان، ثم أوصله حتى منتصف الحديقة؛ لطفٌ، أقلق خطوات **أسامة**.

❐▼❐

وما إن همّ **أسامة** بركوب السيارة، حتى أخرج **فهد** هاتفه

وعلى الفور اتصل بصديقه الجوهرجي: أريد خاتماً يليق بهدية تصعق العين.

رحب الجوهرجي بالطلب، فأضاف **فهد** بحزم: لا تكترث بالثمن ولا بالموفد الذي سيصلك بعد حين.

استغرب الجوهرجي: كيف؟

قال: أخّره قدر ما شئت.

أغلق الهاتف، وأعاده إلى جيب معطف النوم، ثم أسرع نحو المطبخ؛ كانت **ناتاليا** منهمكة بغسل الأطباق وظهرها إليه، فوقف راح يتأملها بأعين مسعورة، حيّاها وراح يفتح أحاديث أطرافها لاهثة، حتى قال فجأة:

هل المخزن ممتلئ بما يكفي؟

أجابته فوراً دون شرود في حساب الكميات: أظن ذلك.

قال مبتسماً: الظن لا يملأ القدور، تعالي لتفقده.

دخلت معه منتعلة حذاء المضض.

❐▼❐

وما إن أُغلق الباب حتى أمسك زندها، اجتذبها نحوه؛ ارتبكت ودفعته عنها: ماذا تريد؟

اقترب منها أكثر وقال بصوتٍ منخفض: لا تقولي إنك

نسيتِ ما حدث بيننا.

أجابت: لم أنس... لكن اتركني وشأني، ألا تكفيك **ميريت**؟

ضحك ساخراً، وقال: **ميريت** تصلح للعرض... تحفة مقلدة، تغش الناظرين.

رمقته بحيرة، فأكمل: للزينة فقط، زينة تكلف الكثير، كماليات لا بد منها.

لم تعبأ بكلامه؛ نظرات صامتة تعاتب بشماتة، ثم تحركت نحو الباب: لدي عمل.

أمسك ذراعها بعنف: وهذا أيضاً عمل.

هزت رأسها: أنا خادمة لا أكثر.

قطع الله لسان من يقول ذلك، وهو يمرر راحته على كتفها: أنت نبيذ معتق لا تُقدر قيمته إلا بعد التذوق.

اقترب منها، وقد بدأ أثر الحبوب يشتعل في بياض عينيه:

لا تكوني أنتِ و**ميريت** والحبوب ضدي؛ دفعها نحو أرض المخزن قبل أن تجيب.

❏▼❏

أمام محل المجوهرات، كانت السيارة لا تزال متوقفة،

وأسامة ينتظر، بينما الجوهرجي يكرر التأجيل والاعتذار؛ وفوق بلاط صار ساخناً، نسي جراء ثمالته من جسدها أنه أرسل أحداً.

بعد وقت، وصل عامل التوصيل إلى القصر، لا يحمل أكياساً إنما اشتياق إلى **ناتاليا**؛ دخل المطبخ، وجد كل شيء يجافيه، وأحسّ بفراغ مقبض على غير العادة.

توقف فجأة؛ ثمة صوت خافت يتسلل من جهة المخزن، ضربات كأنها ارتطام ممتزج بصوت. .

في البداية ظنه احتكاك فئران أو أكياس، فاقترب أكثر.

الصوت يزيده فضولاً، صوت يئن، شبه تأوهات. . انحنى نحو ثقب الباب.

❐▼❐

تجمد، كأنه لوح خشب أمسكت به ألسنة نارية؛ من خصل مشتعلة منسدلة فوق البلاط، وجسدٍ عظيم يعتصرها.

ابتعد عن الباب سنتيمترات، رجع إلى تفاصيل تشبه خيالات السبعينات؛ شريط متحرك، صور تجمعه مع الملقاة، يدقق النظر فيها، ما تلبث أن تحترق في هواء الحقيقة؛ أحرق كل شيء خلال لحظات.

ثم نهض مترنحاً، واتجه إلى ركن الأواني، سحب سكيناً

كبيرة، وعاد مسرعاً نحو الباب.

أمسك المقبض. . . كاد يذوب في يده، كاد الباب يحترق، فرفع يده. . توقف.

ظل واقفاً، يضغط على السكين حتى كادت تُقتلع عيناه من شدة الضغط؛ ارتخى جسده، نكس رأسه، وخاطبته نفسه بنبرةٍ مهزومة:

هذه ليست قضية شرف. . إنها قضية انعدام شرف.

ظل ماثلاً، وتراءى له شعر **ناتاليا** يوم دعته إلى المقهى فجأة، كيف كان يلمع فوق كتفيها، وكيف ظل يتأملها كالأبله بينما كانت تبتسم؛ سخر من نفسه بمرارة: يا لغباوتك يا **أسامة**، كانت ترمقك محذرة إذا حاولت لمس شعرها اللامع. . شعرٌ متلألأ سراً وعلانية.

❒▼❒

اندفع نحو الأعلى كمن يهرب من نارٍ تأكل جسده؛ فتح باب غرفة **ميريت** بعنف، فالتفتت مذعورةً إلى السكين في يده، ونهضت بسرعة: ماذا حدث؟

قال بصوت ارتطدم بها: زوجك. . . و**ناتاليا**. . . في المخزن.

حدقت فيه غير مستوعبة: ماذا يفعلان؟

رفع عينيه إليها، وقال: يعتصرها بجسده.

ثم استدار وغادر القصر، كملح ذاب في نهر الخيبة.

❐▼❐

اندفعت **ميريت** نحو المخزن، وفتحت الباب بقوة؛ تجمدت في مكانها: الجسدان فوق البلاط، الملابس مبعثرة.. نهضا مفزوعين بأنفاسٍ مرتبكة، بَرَدَ البلاط فجأة.

وهي تنظر إليهما باشمئزاز، قالت بعدم اكتراث: كم يليق بكما هذا الحال.

ثم قلّبت نظرها في المخزن والرفوف، وقالت: حتى أنكما لم تساويا قيمة ما يوضع على هذه الرفوف؛ مكانكما الطبيعي على الأرض، كسلع منتهية الصلاحية.

رفع **فهد** رأسه وقال يكابد في استجماع الأحرف: اسمعيني...

قاطعته باشمئزاز: الحقيقة عارية أمامي.

ثم التفتت إلى **ناتاليا**، وحدقت فيها طويلاً قبل أن تبصق في وجهها، بقيت **ناتاليا** متسمّرة.

قالت **ميريت** بلسان سليط: كنت أعرف أنكِ رخيصة...

لكني لم أتخيل أنكِ بهذا القدر من القذارة.

ثم نظرت إلى **فهد**: وتتركني لأجل هذه؟ أتراني كنت أغفل أنك تركت بقعاً على جسدها؟

لا، تغافلت، ظننتها نزوة تافهة.

حاول الاقتراب منها، مدت يدها في وجهه: لا تلمسني.

ثم أضافت بشماتة: من الرائع أن **أسامة** رآكما.

اصطكت قدما **ناتاليا** فور سماع اسمه، وشحب وجه **فهد**؛ فتابعت **ميريت**: كان يحمل سكيناً. .

كأن **ناتاليا** تلقت الطعنة في الحال.

تراجعت **ميريت** نحو الباب وهي تقول:

قبل الليل. . . ستكون قد طلقتني، ثم غادرت مسرعة.

صعدت إلى غرفتها، بدلت ملابسها على عجل، جمعت المال والمجوهرات، وغادرت القصر نحو بيت أمها؛ أما في المخزن...

فتمثالان جاثيان فوق بلاط تشقق تحتهما.

❐▼❐

في الشوارع، كان **أسامة** يمشي وحده وسط اكتظاظ لم

يلحظه؛ وصل منزله بعد وقتٍ طويل، كأنما جاب مدناً وبلاداً.

دلف غرفته بخطواتٍ منهكة، ثم هوى فوق السرير، وظل يحدق في السقف طويلاً؛ رأى ثقب الباب، نفذ منه.. ظلام، وشعر لامع منسدل، يده فارغة لكنها ما زالت تشدّ على السكين.

نظر إلى يده، تأملها وكأنه رأى يد رجلٍ آخر، حدّثها: ماذا لو فتحتِ الباب عليهما؟ هل ستظلين تطهين..؟

أغمض عينيه بقوة، فتراءى له مطبخ رحيب، مطبخ سجن؛ أشاح بوجهه من نفور المنظر، فاصطدم بصورة **ناتاليا**، ضحكتها، نظراتها، والكلمات التي كان يطهوها لها بحماقة في قدر بين جنباته، وهي ليست إلا وجبة عابرة تُطهى على بلاط مشتعل.

ضاق صدره لحدٍّ أفزع أنفاسه، ظنّ أنه على وشك سكوت قلب يعتصره صدره، فهمس بصعوبة: أهذه نهايتك يا **أسامة**؟

ظل يصارع ليستقيم..

لا جدوى، وكأنه سقط من سماء الأوهام، وارتطم بسريرٍ حجري في سكون..

جسد انفرجت أعضاؤه، فأصبح من سنخية السرير.

ضريبة أثقل من حَمْله

ارتدت **ناتاليا** ملابسها فوق جسدٍ يرتجف، وبسرعة البرق غادرت القصر؛ أما **فهد** فظلّ متسمّراً في مكانه... لا يدري ما يصنع.

بعد وقت، هرع يفتش عن **ميريت** فلم يجدها، عاد إلى غرفته وجلس على السرير مكتئباً، تائهاً، لم يجد أمامه إلا الاتصال بـ **عابد**؛ طلب منه الحضور فوراً.

وصل **عابد** بوقتٍ قياسي، واقتحم غرفة **فهد**، وما إن رآه حتى تباطأت خطواته؛ كان جالساً كتمثالٍ بلا روح.

اقترب منه بخطواتٍ ثقيلة، وسأله: ما الذي حدث؟

بالكاد تحرك فمه، وقال: **ميريت** رأت خيانتي لها....

اتسعت عينا **عابد** من الصدمة: رأت! كيف؟!

قال **فهد** بمرارة: رأتنا كما يرى الناس بعضهم بعضاً.

تخشّب **عابد** في مكانه ساكتاً، فنظر إليه **فهد** بغضب: تكلم... لماذا أنت ساكت؟

تنهد **عابد**: وما عساي أن أقول؟ ثم سأله بحذر:

وكيف تصرفت **ميريت**؟

بالكاد حرك **فهد** رأسه: بكل استعلاء ووقاحة... وطلبت الطلاق قبل أن يأتي الليل.

حاول **عابد** تهدئته: أعذرها... الصدمة ليست هينةً عليها.

أخذ يخفف عنه، وبعد وقت قال **فهد**: اذهب إليها... حاول أن تثنيها عن الطلاق، قل لها إنني مستعد لتنفيذ أي طلب تريده، ثم أمره أن يذهب فوراً.

اقترح **عابد** بنبرة لينة: ربما من الأفضل أن ننتظر حتى تهدأ...

لكن **فهد** صرخ فيه: اذهب كلمح البصر.

❐▼❐

اختفى **عابد** ليظهر بعد وقتٍ أمام منزل **ميريت**، طرق الباب ففتحت له، وما إن رأته حتى عبست.

ابتسم محاولاً تلطيف الجو: أتسمحين لي بالدخول؟ وبعد إلحاحٍ أخوي وافقت على مضض.

دخل فوجد أمها جالسة، وما إن رأته حتى قالت بحدة: صاحبك تجاوز كل الحدود.

أجاب برفق: معك حق... ولا أنكر خطأه، لكن لا أحد منّا

معصوم.

ردت بازدراء: كل شيء قد يُغتفر... إلا الخيانة؛ من يظن نفسه حتى يخون **ميريت**؟

أتناسى كيف كان يلهث حتى يفوز بها؟

قال **عابد** متوسلاً: الحق معكم... لكن لنحاول رأب الصدع، وقد جئت مفوضاً منه بالموافقة على أي شيء يرضي **ميريت**..

ثم أردف: يا خالتي، لو رأيتِ حالته الآن لأشفقتِ عليه... الرجل يكاد يلفظ أنفاسه.

قالت **ميريت** بحسم: ليتها الأخيرة... لنرتاح من قرفه.

اقترب منها **عابد** قليلاً: أقدّر غضبك... فقاطعته برفع ذقنها: غضبي ليس لأنه خانني.. لا تزعجني بقدر ذوقه فيها!

سكت لحظة، فتابعت باحتقار: كنت أظنه يسقط بمستوى يليق به على الأقل.

حاول **عابد** التخفيف من حدة الموقف: الناس تخطئ يا **ميريت**... لكنها قالت ببرود قاسٍ: والناس أيضاً تدفع ثمن خطئها.

اقتربت أمها منها وقالت: يجب أن يقدر قيمتك... ضعي شروطاً تضمن ألا يعود لفعلته.

قالت: لا شروط ولا يحزنون، الطلاق الطلاق.

ومع إلحاح **عابد** وتدخل الأم، جلست باستعلاء وقالت: حسناً... أريده أن يسجل القصر باسمي بشكلٍ قانوني، وأن يفتح لي حساباً بنكياً يصعق موظف الإيداع.. والأهم من هذا كله... أن يجري عملية شفط دهون فوراً.

❑▼❑

بُهت **عابد**: ماذا؟!

قالت بكلّ برود: أريده حين يستقبلني على باب القصر، أن يكون بلا "ضرّة" منتفخة.

ظلّ **عابد** يحدق بها غير مصدق: أنتِ تعلمين أنه يرتهب من المستشفيات... حتى المرور قربها يفقده عقله!

قالت بلا اكتراث: تلك مشكلته.

ثم أضاف: والله، أخذ ثروته كلها أهون عليه من هذا الشرط...

قالت بنبرةٍ شامتة: ولهذا اخترته.

رفع **عابد** يدي الاستسلام نحو الأعلى: حاولي التراجع عن هذا الطلب...

رفعت ذقنها بكبرياء: هذه شروطي؛ إما تنفيذها... أو

الطلاق. فنهض مضطراً وغادر.

وما إن أُغلق الباب حتى اقتربت أمها منها معاتبة: ما شأنكِ وكرشه؟

نظرت إليها **ميريت** بعينين تلمعان بالمكر: حتى يرتعب.

قالت الأم: ربما يرفض...

ضحكت **ميريت**: إن رفض، فأنا لستُ ابنتكِ.

❑▼❑

عاد **عابد** إلى القصر، فاستقبله **فهد** بلهفة كمن يلقى ابناً بعد سفر: ها؟ ماذا قالت؟

جلس **عابد** متردداً: الأمور... ليست سيئة تماماً، لكن هناك شروطاً صعبة.

قطب **فهد** حاجبيه: ما هي؟

قال: تريد القصر باسمها... وحساباً بنكياً كبيراً.

أومأ **فهد** سريعاً: لا بأس... وماذا أيضاً؟

سكت **عابد**، فانفجر **فهد**: هل سأنتزع الكلام من فمك؟ انطق!

تنهد **عابد**: تريدك أن تجري عملية شفط دهون... فوراً.

انتفض **فهد** واقفاً كأن عقرباً لسعه: مستحيل!

راح يدور في الغرفة من ألم الطلب: عد إليها... ساومها على هذا الشرط، أعطها مقابله أي شيء آخر.

قال **عابد** بنبرةٍ آسفة: صدقني، لن تتراجع؛ لو رأيت وجهها لفهمت... كانت حاسمةً بشكلٍ مخيف.

توقف **فهد** فجأة، وأطرق رأسه نحو الأرض، شعر لحظتها بثقلٍ غريبٍ عليه؛ نظر إلى كرشه، رآه لحماً زائداً... قال بصوتٍ خافت: سأرى... ما سيكون، ثم طلب من **عابد** الانصراف.

أخذ يستغرق في التفكير، كان يجادل نفسه، يفتش فوق سجادةٍ فاخرة عن حيلةٍ تنقذه؛ الأسئلة تتهافت تكاد تفتق جمجمته، فكر أولاً في المال والقصر:

بديهيٌّ أن تطلب تعويضاً... لكن ما علاقة الكرش بالخيانة؟!

ظل يحدق في صورةٍ على الجدار: بأي منطلق طلبت ذلك؟

أليست النحافة أكثر جذباً للنساء؟

أم أن في بالها شيئاً آخر؟

تمتم: وهل المال وحده يكفي لرد كرامتها؟

أغلق عينيه، مجرد تخيل العملية جعل الدم يهرب من عروقه، همس لنفسه: كيف سأفعلها؟

وأنا أكره المستشفيات وأخاف المرض.

وفجأة تنفس بصعوبة: رحماك يا أبي... كم عانيت؛ بعدما تراءى له على سرير المرض يذبل شيئاً فشيئاً، بينما الأطباء يحيطون به بعجز غير مبرر.

ضغط على عينيه بقوة؛ ما زال يتذكر الطبيب الذي وعدهم بالنجاة...

ثم تركه يموت ببطء أمامهم، وما زالت وصيته الأخيرة تتردد أصداؤها في رأسه...

مع كل خلوة تفرضها أزمة.

أُرِيدُها... مفاجأَة

سمع أصداء وصية أبيه: آه يا **فهد**... بني، لا تدع العمل يسرق عمرك كما سرق عمري.

عاد صوت أبيه يتردد في رأسه بترددٍ ثقيل: لكن عزائي أنني تركت لك ما يكفيك ويكفي ذراريك؛ ها قد رأيت أباك في أواخر أيامه ذليلاً أمام مرض، بعدما كان يغيظ عقاقير الدواء.

صنعت إمبراطورية لم أعش سنيني حق عيشها، لا تفعل مثلي، ولا تقلق بشأن المال؛ خلفك جيش يضاعف هذه الثروة وحده، جيش مستعد أن يُهلك عمره لتعيش أنت غانماً.

لذا، اكنس غبار أي هزيمة من ساحة حياتك، فلن يسمح من ورائك بها؛ ليس حباً بك، بل كرهاً أن تهزمهم متطلبات الحياة.

تراءت له ابتسامة الأب العطوف: ربطت كل حياتهم بنا، فصاروا أحرص على حياتنا من حياتهم؛ لأن في قبضتنا كل أحلامهم، في يدك تمسك رغيف خبزهم حتى أتفه رغباتهم.

❑▼❑

استمتع أنت بالأرباح... أما هم فمجرد تروس؛ ومن يتعطل، ارمِه فوراً، ولا تأخذك رأفة في دين المال.

تنفس **فهد** بحرقة، ثم أغمض عينيه؛ كم كنت محقاً يا أبتِ...

هتف مع نفسه: وها أنا ذا أقف أمام خيارين؛ إما أن أدخل مكاناً كنت أكره المرور بقربه... أو أخسر **ميريت**.

رفع رأسه إلى السقف، يقلب نظره بين الخيارين، ويسأل: هل تُنسى امرأة... إذا استبدلتها بعشرات النساء؟

لم يلقَ جواباً؛ ثم جاءه الجواب من داخله، بارداً وقاسياً: ليس الأمر بهذه البساطة.

شدّ على صدره بعنف: سحقاً لك أيها القلب اللعين...

كيف تعلقتَ بامرأة يعاديك قلبها وجسدها؟

ما الذي يزيدها عن النساء الأخريات؟

مرّ عليك الأجمل... والأذكى... والأكثر طاعةً وإمتاعاً؛ ما سرّها؟!

❐▼❐

أشاح بنظره فاصطدم بصورة أمه المعلقة على الجدار، رمقها بعيون الفخر:

غفر الله لكِ يا أمي... أين أجد امرأةً تشبهكِ؟

كنتِ سيدة هذا القصر... وعلى مَن وطأ بلاطه، حتى الجدران كانت ترتجف من مروركِ بجانبها؛ كم أفتقدكِ... موتكِ كسر أشياء لن تلتم، آهٍ لو بقيت بيننا...

لما استطاعت **ميريت** أن ترفع عينيها في وجهكِ.

ظل يحدق في الأرض طويلاً، ينتظر أن تنشق عن مخرجٍ لحلٍّ ارتوازي؛ ثم لمعت الفكرة فجأة من بين طيات سجادةٍ فارسية.

❒▼❒

رفع هاتفه واتصل بـ **عابد**: اسمع يا **عابد**، أريد حجز موعد العملية فوراً؛ أريد فريقاً طبياً رفيع المستوى...

يأتون إلى القصر لفحصي هنا.

أُخدَّر هنا، أُنقل إلى المستشفى، ثم أعود إلى سريري قبل أن أستفيق...

أريد الأمر كله وكأنني نمت... واستيقظت نحيفاً.

ساد صمت قصير، قبل أن يقول **عابد** بتردد: وهل هذا ممكنٌ طبياً؟

انقبض وجه وصوت **فهد**، وقال بحدة: المال يجعل كل

شيءٍ ممكناً.

ثم أردف بصوت أخف ونبرة أكثر حسماً: أنجز الأمر بسرعة...

ولا تخبر **ميريت**..

أريدها... مفاجأة.

اختارت الأجمل

نفّذ **عابد** ما أُمر به، ثم اتصل بـ **فهد** يبشره بتمام الأمر، فأبدى فرحة لا تكاد تُصدق، وسأله عن موعد مجيء الفريق الطبي.

قال **عابد**: غداً، لكن عليك من الآن الامتناع عن الطعام لإجراء بعض الفحوصات.

تأفف **فهد**: بدأنا مهزلة الأطباء... ما علاقة الطعام بالفحوصات؟

ردّ **عابد**: لا أعلم، لكنهم شددوا عليّ ألا تأكل، حتى لا يتأجل موعد العملية.

زفر هواء الاستياء: سأحاول.

وفي الغد، أُجريت الفحوصات... ثم العملية، وحدث ما خُطط له.

❐▼❐

غداة العملية كاد رأس **فهد** أن ينفجر، الطعام ممنوع، لا يدري ماذا يفعل ليمرر الوقت، فهو منذ البارحة في صوم مفروض، صوم معدة لم يدخل الإيمان جوفها فراحت تعلن عن التمسك بدين

الأجداد، تصرخ رافضة الدين الجديد وإن ليوم، حتى أوشك على الارتداد مرات عدة.

لولا أن رأى برهاناً من ربته حيث يطوف حول السرير وحيداً.

بعد ملل يقتحم المطبخ، يقلب النظر فيه، يرى **ميريت** تقلب وجهها في معدته، وكأنها تقول: سنوليك أياماً ترضاها، ارتدع واصدع بما أمرت من الفريق الطبي.

يهدأ، فيوجه وجهه شطر الحديقة، يذهب ويجلس في محراب الكبت المفروض.

وعند مجيء الفريق الطبي، كأنهم كتيبة اقتحام من النخبة دخلوا تصحبهم هيبة، وصلوا إلى **فهد**، رحب بهم ثم بدأوا عملهم.

بعد وقت كانت التحاليل مطمئنة، أخبره الطبيب أنه يلزم نقله إلى المستشفى.

فزع **فهد**، قال الطبيب: لا تقلق.

رد **فهد**: لا أنقل على عربة الوعي.

مددوه على سرير متحرك، راحت الممرضة تجهز حقنة تخدير، اقتربت، ازداد فزعاً، طمأنته، وكأنه رأى يد **ميريت** تمسك الحقنة.

بعد شكه في عروقه نظر للممرضة وتبسم، كانت ابتسامة دافئة حانية.

نظرت إليه الممرضة باستغراب، ظنته يغازلها!

❒▼❒

رن هاتف **ميريت**، كان **عابد**؛ قال بصوت متحشرج: عليكِ الحضور فوراً...

سألته على الفور: وماذا عن شروطي؟

ساد صمت قصير، ثم قال: هو في المستشفى. . . وسكت.

قالت ممسكة بآخر طرف حبل الصبر: تكلم!

قال: مات، مات بعد التخدير.

❒▼❒

لم تجب، تخشّب لسانها. . بعد ثوانٍ قالت بنبرة متقطعة: كيف؟! مستحيل.

أجاب: هذا ما حدث، لم يستطع جسده تحمل المخدر.

ثم أنهت المكالمة لتجهز نفسها؛ دلفت إلى غرفتها لتنتقي فستاناً أسود، فتحت خزانتها ببطء، تأملت الفساتين المعلقة أمامها. . . ثم اختارت أجمل فستان أسود، ارتدته بعناية، ثم اتجهت إلى القصر.

وصلت بخطوات هادئة تستبطن الخيلاء، استقبلها السائق وعدد من الموظفين، بينهم **عابد** وزوجته؛ الوجنات عليها ندىً جاف.

اقترب **عابد** منها، وقدم لها كلمات العزاء، فهزت رأسها شاكرة، ثم قالت: ما الإجراءات اللازمة الآن؟

أجاب: الجثمان ما زال في المستشفى، غداً الدفن ومراسم العزاء... وإذا أردت نستطيع الذهاب لرؤيته.

وضعت أصابعها على جبينها المنخفض وقالت: لا أستطيع تحمل الأمر... افعلوا ما يلزم، وأبلغني بأي مشكلة.

أومأ بطاعة وابتعد.

مرّ الوقت بثقله المعتاد بعد أي موت؛ الساعات بطيئة، بالكاد يتحرك عقرب الثواني الأسود، كشيخ كهل يغيظها بعدما راهنت عليه في "ماراثون" المواريث.

ثلاثة أيام، أظهرت دموعها للناس؛ أما في خلواتها... كانت الدموع تتراقص فوق لعبة حبل الأقدار، لعبة لا قواعد لها سوى أيام تقفز وتسقط بالناس، وكانت أمها جانبها، تستمتع بمشاهدة اللعبة.

وبعد انتهاء الإجراءات... آل كل شيء إليها.

بطلة غير شرعية

ورثت أمواله وعمّاله، كما ورثت شبكة من العلاقات؛ أصدقاءه، وفي مقدمتهم **عابد** و**عبير**.

لم يفارقاها، بل بقيا حولها كأنهما عضوان مهمان في جسد حياتها الجديدة، يخففان عنها صداع الوحدة، ويمنحانها حبوب التطبيل.

وفي إحدى المرات اقترح **عابد** جلب عمال أكفاء للخدمة والمطبخ، فوافقت فوراً، بعدما ملّت دلال شركات توريد العاملات.

في أيامها لم تكن تخلع السواد أبداً، حتى صارت الحلي تذوب داخل اللون الداكن ولا تُرى إلا لمعةً ومضية؛ وفي السهرات، كانت الأصوات منخفضةً احتراماً للمصاب، إلا في اختلاف للملاهي البعيدة، كانت الليالي السوداء تميل إلى الحمرة الصاخبة.

يجلسون في وقار مصطنع؛ كؤوس تُرفع، وخمور تُشرب، وحديث غربي خفيف أو فكاهي، يتولاه **عابد** بمهارة، وتسانده **عبير** بابتسامة تراعي حدود الطبقية.

ومع الوقت، صار ذلك الطقس الليلي يخفف عنها شيئاً من ثقل طقوس النهار، ويزيد ثقتها بهما، بـ **عابد** تحديداً؛ حتى أنها أوكلت إليه إدارة العمل، بعدما أثقلها التوقيع اليومي وتفاصيل الأوراق.

ففي ذات مرة: لقد أتعبني هذا التوقيع... كل يوم أكوام من الأوراق؛ فعلاً لا شيء بدون تعب وصداع رأس!

أليس هناك حل؟

أجاب بسرعة:

الأمر بسيط... أن توكلي مَن يقوم مقامكِ.

ترددت: قد يكون لصاً أو عديم أمانة.

قال مطمئناً: لا يستطيع التلاعب، هناك محاسبون وموظفون ومجلس إدارة؛ التوقيع إجراء لتسيير العمل ليس إلا.

ثم راكم فوق منطقها المرهق حججاً مريحةً حتى اقتنعت؛ اتصلت بالمحامي وأبلغته باتخاذ اللازم.

أصبح **عابد** و**عبير** موضع ثقة **السيدة**، التي أمسكت بكوب عصيرٍ لذيذٍ من أنامل **عبير**، ثم ارتشفت منه بشفاهٍ مطمئنة.

❑▼❑

كان العمل يسير بسلاسة وجدية؛ **عابد** يتولى المهام

الجديدة بحرصٍ صارخ، كأنه يسعى لطمس أي شبهة تقصير أمام **ميريت**.

وفي كل مساء، كانت **عبير** تحرص على تقديم كوب العصير المنعش المعتاد.

شيئاً فشيئاً، تغيّر مزاج **ميريت**؛ صار الشراب يمنحها ارتخاءً ممتعاً، ونشوةً غير مفهومة، تسرها وتعوضها ما فاتها من انتشاء.

ومع الوقت، كانت **عبير** ترفع الجرعة، تتولى مراقبة تأثيرها على عقل المرمية فوق مقعدٍ فاخر.

لم تعد **ميريت** تجلس كما كانت؛ صار حضورها متصدعاً، ووعيها متشققاً، بقايا واجهة جميلة لبناء تحطم؛ سيطر عليه مقاولان غشّا في مواصفات إسمنت الصحبة.

❐▼❐

في مرة، هرعت كالمجنونة نحو **عابد** و**عبير** تطلب العصير؛ نظر **عابد** إليها بهدوء وأطال، ثم قال: لدينا أمر مهم الآن. . . عودي بعد أسبوعين.

ضحك بخفةٍ لم تُخفِ ما وراءها من شماتة، فدفعتها الأرض خطوة وكأنها شريكة في المؤامرة، وأسقطتها جاذبية الموقف جنب الطاولة.

ضحكت **عبير**، ثم قالت بسخرية لا تخلو من كيد: لماذا كل هذا التعلق بالعصير؟ هو مجرّد سائل؛ ثم نظرت إلى **عابد**: لنجلب لها ماءً فهو سائلٌ أيضاً.

أمسكت **ميريت** برجل الطاولة، وكأنها تستند إلى أقوى ما تملكه، وقالت بصوتٍ خشن بعد مقاومة أوتارها الصوتية: لماذا تفعلون هذا بي؟

بعد كل ما قدمته لكم... صمتت لحظة، ثم أضافت سائل الدموع إلى كلماتها: أريد المشروب الآن...

تبادل **عابد** و**عبير** نظرة تبادلت أحاديث طويلة، ثم نهض **عابد** فجأةً وقال بحدة: يا لوقاحتك... أحقاً تسألين؟

ماذا قدمتِ يا خادمة الأمس؟ أتيتِ العصر وتملكتِ القصر!

ثم أضاف، كأن حمم الأيام في داخله آن لها أن تنفجر: أتعجبين من تصرفاتنا؟ هي ليست إلا حقّاً لنا، على ما اقترفته عائلة زوجِك.

يلهون بنا.

في تقريبهم استعباد.

وفي إحسانهم ذل.

كانوا يأكلون لحمنا ويتركون العظام، وغاية ما في المسألة

أنهم وجدوا أنفسهم في مقامٍ وُلِد معهم، أدوار رُسمت مسبقاً في هذا الفيلم الكبير (قالها باسطًاً يديه).

رفعت **ميريت** رأسها الثقيل: وما ذنبي أنا؟

ابتسم ابتسامة منتصر شامت: ذنبِك أنكِ الوريثة الشرعية... لدور بطلته غير شرعية.

وقوف مفاجئ

بعد فترة من الزمن، مرّت سيارة أجرة بجانب كلية الفلسفة، كانت **ناتاليا** بداخلها تقلب نظرها في الشوارع والناس، وإذ بها تصرج بالسائق:

توقف، توقف.

هلع منها، وقال: ما حدث؟

على الفور: تذكرت أمراً هاماً، دفعت الأجرة.

نزلت واقتربت من مطعم استوقفتها واجهته، يبرز منها حرف "O" بشكل لافت ومضاء بلون أبيض صارخ.

وقفت أمام الواجهة مبهوتة، لا تحرك ساكناً..

بعد دقيقة دخلت، استقبلها النادل ورحب بها، رافقها إلى طاولة أنيقة.

جلست، وقبل أن يقدم لها لائحة الطعام، طلبت فنجان قهوة بسرعة.

ذهب لاحضاره، بعد دقائق هبط به برفق على الطاولة.

رفق مرصود من الزبونة بنظرات بوليسية.

ومع صوت طرقة الفنجان فوق الزجاج، بادرت النادل بسؤال عن المطعم:

يبدو أن هذا المطعم حديث العهد؟

قال: تأسس منذ سنتين تقريباً.

هزت رأسها، وقالت: حسبت ذلك لأنني كنت دائمة التردد إلى هذه المنطقة.

أومأ لها بحركة لطيفة معيداً الترحيب..

ثم قالت: وأنت نعمل هنا منذ التأسيس.

قال: صحيح، راحت تتأمل في المكان، ثم قالت:

المكان دافء جداً... فريد فعلاً..

شكرها على إطرائها.

ثم أردفت: يظهر أن صاحبه كان خارج البلاد، حتى تأثر بهذا الذوق.

حرك رأسه مومئاً بعدم المعرفة.

قالت: أهو شاب أم رجل طاعن.

ابتسم وقال: هو يصغرني سناً.

قالت باستغراب: ربما سانده مال ورثه أو ينتمي لعائلة عريقة حتى يؤسس هكذا مكان.

هز جبين التأييد.

وفي داخله ارتياب من تساؤلاتها التحقيقية، قال مسايراً:

ربما.

ثم طلب الاستئذان، وانصرف.

نسبة الخدمة

توجه النادل لتوه إلى صاحب المطعم ليحكي له عن ريبته من تلك السيدة؛ حيث ظنها مفتشة ضرائب أو مراقبة صحية.

ضحك رب عمله منه وقال: تكن مَن تكن، نحن نعمل بكل شفافية.

غير أن الفضول دفعه لرؤية تلك المثرثرة؛ مشى إلى الصالة مع النادل حتى يتعرف عليها بطريقةٍ لا توحي بالقصد.

رآها من بعيد، تضع فنجان القهوة؛ بعد رشفةٍ أفرغت جلّ ما فيه، بأنامل متوترة كأنها لاذت بالمكان لتتوارى من جريمة.

رشفة تعدت بمقدارها تذوق القهوة، كانت لحظةً أعادتها إلى موقفٍ في مطبخ القصر، خلال حديثها مع **أسامة** لما كان يخبرها عن أحلامه وما يتطلع إليه.

وهي تسمع بصمت، تنظر إليه كيف كان يحكي عن مواصفات المطعم الذي ينوي تأسيسه...

اسمه، أثاثه، الألوان، وكيف سيكون مميزاً؛ كان يبتسم مع أداء يدين استعراضي أثناء الشرح، وكيف كان يشرح عن نظام

العمل، وكيف ستكون إلى جانبه خلال سيرورة التوسعات.

❐▼❐

وقبل أن تنقضي ثواني الاستحضار، حضر في يقظة الواقع مَن كانت تتخيل؛ نظرت مذهولةً غير مصدقة.

وقفته صلبة، لم تتغير الملامح كثيراً. . تغيّر لونها، ابتلعت ريقها، ثم سألت نفسها:

ما ينوي فعله الآن؟ تخيلتْ ردود أفعال عدوانية كثيرة.

ظلت تتأمله، وهو يتأملها في برود مريب. . كانت نظراتها تتقهقر أمامه.

ابتسم بنفس البرود ورحب بها، وكأنها ما صدقت أن بادر بفعل، كأن أمامه زبونة ليست بذات أهمية؛ ردت التحية وقالت: مبارك هذا الإنجاز العظيم.

هز رأسه شاكراً. .

قال: حللتِ أهلاً عندنا.

نظرت إليه ببؤبؤ دافئ: أخبرني عن أحوالك؟

بنبرة فيها خشونة ناعسة قال: على أحسن ما يرام؛ زواج سعيد، وعمل أنا رأسه.

هزت رأسها؛ جاء النادل نحوهما يستفسر عن أي طلبات

إضافية، لم تطلب شيئاً. .

ثم قالت بنبرة هادئة مترددة: أريد حساب القهوة.

نظر **أسامة** إلى النادل وقال بحزم: لا تنسَ أن تضيف نسبة الخدمة. .

ثم أشار له أن ينصرف.

لم تستوعب كلامه، خفضت رأسها تعبث في محفظتها، متسائلة عن سر هذا البخل الدخيل عليه!

وهو ينتظر النادل لجلب الفاتورة، حتى أتى ووضعها أمامها، فأمسكت الفاتورة بيدٍ مرتبكة، وشردت فيها لحظة؛ حيث تبدلت أرقامها إلى مشاهد لم تغادرها معظم أيامها.

❐▼❐

مشهد رأت فيه لحظة خروجها بأقدام متخبطة من القصر، تائهة في الشوارع حتى بلغت منزلها، هائمة نحو غرفتها؛ هوت على طرف سريرها بجسد منهك يسري في عروقه دم قوامه كريات الرهبة والانكسار، وبينما تكاد تسقط منسابةً على الأرض وجهت رأسها الثقيل إلى السماء.

لا تعلم بمَن تلوذ، تهرب منها خيوط الموقف، حتى انزلق رأسها للأسفل، وحدثت نفسها:

راح كل شيء.. عملي، **أسامة**، يا لها من كارثة إن عاد! هل سينسى ما رأى؟

كيف سيكون انتقامه؟

كارثة إن اتحد مع **ميريت** للقضاء عليّ.. لن يتركني وشأني، كيف سينسى أنني كنت عصية عليه، أخدره بعقاقير أمل منتهي الصلاحية!

يا لغبائي! ظننتُ أن **فهد** ربما يسكنني الطابق الأعلى بدل **ميريت**، فلم يكن إلا طابقاً مررتُ به بأقدام العار، ثم لفظني إلى المخزن.

غريبٌ أمر الحياة، ألا يحق لي أن أحلم بحال أفضل، وببيتٍ غير هذا البيت المتهالك؟

بقية ميراث من أب من يرى نحافته يظنه مسلولاً من الهم والغم، لا يعلم أن كل ما يشغله هو نفسه.

قضى عمره يلاحق النساء بجسد ممشوق ووسامة أنفق على تلميعها، بقايا من أطباقنا اللامعة معظم أيامنا.

ما لهذا الحظ العاثر! حتى في العار والرذائل هناك تمايز؛ غريب، حتى في المثالب يفيد "الدهاء"؟!

أقدار لا تنصف، لها أناسها، كأنها تؤازر من تشاء بقوةٍ لا تُرى، بلا مقاييس، إنما تنتقي بعين الحظ؛ وفي النهاية، كل شيء

تلاشى. .

انسدلت ستارة النهاية.

❑▼❑

وعادت إلى صالة عرض المطعم الواقعية؛ أخرجت النقود من حقيبتها ودفعت. . دون أن تلتفت عيناها المرتبكتان إلى نظرات **أسامة** الجليدية.

قامت وخرجت من المطعم. .

تابعها بنظراتٍ جامدةٍ، بأصابع منفرجة بشدة، يفرغ بين ثناياها أثر اصطكاك أسنانه.

لولا أن رأى شعرها المنسدل المتوهج، لما هدأت تشنجاته؛ فللأشياء المتوهجة مكانة في نفسه.

ولم يشعر بنفسه إلا ويتحسس جيبه.

شرعنة ما في الجيب

تذكر موقفاً كاد ينساه مع انشغالاته، عندما تحسس جيبه لما ظن نفسه قد سقط في موت عميق ساعة الخيانة؛ تفاجأ أنه نسي ذهابه إلى "الجواهرجي" لجلب هدية **ميريت.**

أخرج العلبة الفاخرة، وبعد فتحها بُهت من المنظر؛ ثروة قد تجمعت في علبة، ظل يتأمل مشدوهاً لا يدري ما يفعل:

خاتم ماسيٌّ يزدان بأحجار كريمة تصعق العين والقلب.

ودون أن يشعر، همّ بخطوة رد الأمانة إلى **فهد،** لكنه توقف فجأة؛ تذكر وضعية **فهد** فوق **تاناليا،** فتوهج الوسواس في صدره، وقال: سوف أحرق قلبك على خاتمك هذا، واحدة بواحدة، ولسوف أجد له "صرفة".

صمت يتأمل قراره ويدرس نتاجه، وقال في نفسه: ربما يبلغ الشرطة! عصر ذهنه وتذكر أن محل المجوهرات لا يحتوي على كاميرات مراقبة؛ حيث أطال تأمل كل ركن فيه أثناء انتظاره الممل.

شجعه هذا وقرر بيع الخاتم فوراً.

هرع من البيت إلى مناطق بعيدة يقصد محلات

المجوهرات، منهم مَن كان يقدم ثمناً بخساً لا يرقى إلى عُشر ثمنه إن لم يرفقه بفاتورة رسمية.

وبعدما جاب المناطق، اهتدى إلى محلٍّ عرض عليه نصف ثمنه فوراً؛ وافق، واجتذب المال واختفى.

❐▼❐

قلب نظره في المطعم، وقال محدثاً نفسه: ما أغربك أيتها الصدف! فلولا مروري من هنا لما رأيت إعلاناً كبيراً لاستثمار هذا المطعم بدفعةٍ أولى، شطر ما حملت في حقيبتي؛ ولا أدري كيف أحسست أنه من نصيبي.

لم يكن امتلاك الثمن سهلاً، لكن الناس تعمل عقوداً للحصول على ما يضاهي ما كان ضائعاً في جيبي.

ثمن، قضيت أكابد ثواني لأحصل عليه، كأني قضيت دهراً من التعاسة وراء ثقب باب الخيانة؛ لدرجة أن صاحب الحق لم يطالب به!

ربما خشي من الفضيحة، أو أن خسارته لـ **ميريت** أنسته خسارة ثروة كان سيرميها في إصبعها.

قطع تفكيره اتصال زوجته؛ أمسك الهاتف وعيناه تتبع خطوات **تاناليا** المتهادية.

حاول ألا يظهر في نبرته أي ارتباك وكان طبيعياً.

سمع صوت طفلة تناغي، ضحكت الزوجة وقالت: عليك أن تجد حلاً في **ناتاليا** هذه، كل النهار بكاء!

سكت وزاد تصلبه.

هزته بنداءات متوالية تطمئن عنه، قال: لا شيء، أحدثك بعد قليل.

تمهيد لا بد منه

اقترب أكثر ليرى ذهاب **تاناليا** الكبيرة؛ وإذ بها تتوجه نحو مبنى الكلية المواجهة للمطعم، تدور حوله تتأمل جدرانه في هدوء.

إلا أن سبقها **أسامة،** دخل من بوابة الذكريات إلى أول لحظةٍ دراسية؛ حيث مثول الأستاذ وراء منصته، يرحب بالطلاب الجدد، ثم راح يمهد للمحاضرات بكلمة:

أبنائي، أنتم هنا ليس لدراسة شخوص الفلاسفة ونظرياتهم وأقوالهم فحسب، بل ممّا تدرسون، تعبرون نحو شخوصكم أنتم في المقام الأول.

ثم انفرجت يداه شارحاً:

هذا الوجود محط الدراسة والتساؤلات، هو ما صاحب الإنسان المأزوم بغموضه منذ الأزل؛ غموض ترك تساؤلات انبثقت من النفس أولاً، ثم نطقتها أداة العقل.

أبنائي، من الجيد أن تغوصوا في جواهر الأشياء والأنفس، لكن من الممتاز أن تتخذوا من أعراضها بوابةً لدخولها. .

أهلاً بكم في قاعة التساؤلات؛ ربما تبدو نمطية، سطحية،

طفولية، أو حتى محرمة.

لا يهم، ولا يهم ما تطرحون، اطرحوا ما يحلو لكم من تساؤلاتٍ بكلمات الفضول أو السخط، ولا ريب أن تتعمقوا، وربما تعلو نبرة الاعتراض أو النقد، لكن المهم أن يكون الصراع من حنجرة الاقتناع، وإلا فالسكوت؛ لأن سكوت الزيف هو فضيلة.

أبنائي.. لا تجعلوا غموض الأعراض يلهيكم عن تفكيك جواهرها بل جوهركم؛ عندما تتخرجون من هنا لن ينتهي أي تساؤل بشأن الوجود، لأنكم منه، ولا التساؤلات التي سوف تنبثق من أعراض لا تروق لكم...

ربما تعون حكمة ديناميتها وربما لا.. لكن، إياكم والتفسير المستند إلى ظواهر الأعراض فقط.

❐▼❐

وقتها، ملّت **تاناليا** من الإطالة، وكان **أسامة** يظهر استمتاعاً بالحديث حيث يحف جسده بها، أما **ميريت** فكانت تحدق بلون ربطة عنق الأستاذ اللامعة.

ربطة عنقٍ تشبه تلك التي شدت انتباهها لطبيب نفسانيٍّ وسيم اقترب منها متبسماً.. وما إن اقترب منها، نظر إليها يطمئنها بأنها ستكون على ما يرام، وهي تهز رأسها حتى كاد يسقط منه فكها السفلي.

كان هذا في مستشفى مخصص لعلاج كل طبقات المجتمع من الأمراض النفسية والعقلية؛ حيث ساقتها إليه أمها بعد أن ساءت حالتها في القصر، وبعدما أكدوا لها أن لا خوف هناك على ابنتها، ففي تلك المستشفيات الناس سواسية، وفيها من كل الطبقات والثقافات.